AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

مطبوعات
مكتبة ومطبعة الشعب

892.73
I 141mA

رواية

مظالم الآباء

تأليف

مصطفى ابراهيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

خليل صادق
38854
مؤسس مكتبة ومطبعة الشعب
ومنشئ مجلة مسامرات الشعب
وصاحب ومدير جريدة الحال

« الطبعة الاولى فى نوفمبر سنة ١٩٢١ »

مطبعة الشعب بشارع محمد على بمصر

﴿ الفصل الاول ﴾

برهان هو ابن وحيد لرجل من أشراف الشراكسة الذين استوطنوا مصر فى عهد سعيد باشا . ورث عن أبويه مجداً مؤثلاً ومالا طائلا فعاش به فى خفض عيش وبسطة غنى . وكان بانى الخامسة والعشرين من عمره تترقرق فى وجهه ميعة الباب . غير انه كسائر الشبان الذين نشأوا يسحبون ذيل الترف والرخاء بدأ يميل إلى عالم الهوى واللذائذ واخذ يمرح مجالات اللهو مرحا ويطير فى جو المسرات فرحا واستلان عوده الرطب صحبه وخلانه واحاطوه باحاطة الهالة بالقمر . فصار ينفق عليهم المال بين الشراب والحباب فلا يرفع من الاقداح إلا للقداح وظل على هذا النسق حينا لم يجد له بعده إلا شفاقة من المال والعقار .

إن الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أى مفسدة

وبينما هو ذات يوم يفكر فى الحالة التعيسة التى آل اليها امره اوكاد اذا استمر يستمرى هذا المرعى الوخيم اخذ رائد فكر يصور له الاخطار محدقة به كل الاحداق . وان هذا

البيت الكريم الذى ورثه رفيع الذرى موطد الاركان لا يلبث ان ينهار . وان الدوائر ستدور به دوران الليل بالنهار . فلما تمثلت له هذه النتائج على هذا الشكل المريع في ساعة اخذ فيها مذرويه لكلتا يديه تأملا وتفكيراً خطر بباله خاطر انفرجت له أزمة هذا الكرب . خاطر ظنه صاحبنا مخلصاً يفرجه من وجه العطب . فتهلل وجهه بشراً وامتلأ قلبه مسرة وحبوراً .

ما هو هذا الخاطر المريح يا ترى ؟ خطر بباله ان يترك عيش الخلاعة والقصف . وان يضع يده في يد ابنة من ابناء الاغنياء المثرين ذوات الايراد الوافر فيصلح بالايراد وبالثروة التي تؤول اليها أو اليه « وكلاهما واحد » ما انثلم من امره ويرأب ما انصدع من شؤونه ولكنه لما أخذ يستعرض حائطي مخيلته ما يعرفه من بيوت المجد والغنى العظيم لم كفؤاً له غير بيت من يسمونه بمراد بك وهذا ايضا شرك الاصل فانتقل صاحبنا من الانتخاب إلى التفكير في الو التي يتقرب بها إلى مراد بك والذريعة التي يتذرع بها للاقتر بابنته « وحيده هانم » فلم يرامام عينيه غير عمه سلطان

الاستخدام مهما كانت الفائدة العائدة منه . وهكذا شأن التشيطين من الافرنج لا يستكينون للأستخدام إلا ليخرجوا منه إلى طريق الأستقلال اما مدام برينير فان أباها زوجها بالمسيو برينير طمعاً فى الغنى والجاه لأن هذا كان كهلا لاحت فى رأسه الشعرات البيض واخذت تفرخ وتبيض . على أن مدام برينير هذه لم تكن عجوزاً شمطاء حتى تزوج بهذا الشيخ الكهل ولكنها كانت غادة فى العشرين من سنى شبابها رزقها الله جمالا رائعاً وحسناً فتاناً ورقة دونها السحر الحلال

قلنا أولا أن مدام برينير هى امرأة المسيو برينير ونقول ثانياً انها صارت عشيقة برهان بك لانها الغانية التى سحرته بلطفها فانقاد لها وهامت به حيناً طويلا .

ظل برهان بك يجمعه بمدام برينير صلات العشق والغرام وكانا يتهاديان كؤوس الهوى والهيام دون أن يدرى المسيو برينير بشىء من ذلك على الاطلاق . ولهذا فانه لم يتلق نبأ زواج ابنة مراد بك ببرهان بك هذا إلا بالبشر والابتهاج وعلى أثر دعوة مراد بك له كتب هو الى زوجته يستعجل أوبتها للاشتراك مع عائلة صديقه مراد بك فى الافراح .

وكانت مدام برينير توجهت من مدة الى المنصوره لتعود أختاً لها مرضت هناك . فلما ورد اليها كتاب زواجها راعها نبأ الزواج وأنذرت نفسها بسوء العقبى وشر المنقلب . أنذرت نفسها بان زهرة الحب الذى يربطها ببرهان بك لا تلبث حتى تذبل وترعاها نار الهجران حطاما هشيما . ولهذا ما صدقت أن أختها أخذت تتقلب فى ثوب العافيـة حتى قامت على الأثر وطارت على جناح أول قطار الى مصر القاهرة . ولما كان المسيو برينير لم يعين لها فى كتابه ميعاد الاحتفال فأول شىء عملته عند وصولها انها جاءت تسأل عن ميعاد الاحتفال فلما عينه لها البواب ذهبت الى بيتها لا تلوى على أحد .

دقت الساعة السادسـة وعلى أثر دقاتها الست التفت الخدم وإذا بدوى العربات وصهيل الخيول يختلطان بأصوات الناس . وقفت تلك العربات أمام المنزل ونزل المدعوون وكانوا لفيفاً من الأهل والأقرباء ونفراً من الأصدقاء والاخصاء فصعد بهم المستقبلون الى قاعة الاحتفال الكبرى حيث صففت الكراسى ونسقت الورود والازاهر . فأخذ كل مكانه وكان من بينهم المسيو برينير . ولم يكد هذا يجلس

حتى همس أحد الخدم فى أذنه : « مدام برينير كانت هنا منذ ساعة تسأل عن ميعاد الاحتفال »

— أصحيح ذلك ؟

— نعم يا سيدى .

— وكيف لم أرها ؟

— انها لم تدخل ولكنها سألت البواب وذهبت على الأثر .

عندئذ قام المسيو برينير من مجلسه وواجه مراد بك قائلا له « إن مدام برينير حضرت من السفر يا سعادة البك »

— يسرنا جداً ان تشاركنا مدام برينير فى الاحتفال

قال ذلك مراد بك على مسمع من برهان بك . فلم ترن هذه الكلمات فى اذن هذا الأخير حتى احس بأن جبلا هوى عليه وظهرت البغتة فى عينيه ولكنه تجلد ولبث جامداً فى مكانه .

استأذن المسيو برينير بالانصراف لاحضار زوجته وكان منزله قريباً من تلك الجهة التى يقام فيها الاحتفال . ولم تمض ربع ساعة حتى عاد بمفرده فأخبر مراد بك ان مدام

برينير لم تسترح بعد من وعثاء السفر وهى تعتذر لكم عن عدم امكانها الحضور لمشاطرتكم أنس الاحتفال ولكنها ستحضر الليلة إن شاء الله

والقارئ يعرف مقدار فرح العريس بنبأ هذا التخلف عن الحضور واللبيب يدرك سبب هذا التخلف ولا غرابة فان زواج البك « برهان » وهو عشيقها الوحيد اصبح فى قلبها مغصاً واستحال فى عينيها رمصاً وسيظل فى حلقها غصصاً مدة من الزمان

انتقل افراد المدعوين من قاعة الأحتفال إلى حيث مدت الموائد فجلس كل فى مكانه المعدود ولكن المسيو برينير لبث مشغولا بأمر زوجته فانها فى الحقيقة تخلفت عن حضور الأحتفال لأن الحمى اصابت منها مكاناً ضعيفاً فتمكنت ولم يشأ أن يعكر صفو الفرح بهذا النبأ المكدر . أما العريس فقد اخذت تظهر فى عينيه امارات الأنقباض . وكان يفكر فى ما سيدور بينه وبين عشيقته من الكلام بشأن هذا الزواج ويكفى فى احتفال من الاحتفالات الصغيرة أن يدخل الأنقباض إلى قلب احدهم ليتدفق منه سيال يتمشى

إلى قلوب الآخرين وهكذا انتهوا من الأكل والشرب وسط سكوت لم تتخلله إلا نتف من الحديث كانت تتنقل ببطء من فم إلى فم ومن لسان إلى لسان دون أن يكون لها تلك الطلاوة التى تمتزج بها احاديث الأنس فى الأفراح.

فلما انتهوا جميعاً من تناول مالذ وطاب من أنواع الطعام والشراب انتقلوا إلى حديقة المنزل فانسابوا فى ارجائها وانبثوا فى انحائها يستنشقون النسيم عليلا بليلا . ويتفكهون بحديث السمر حلوا طليا

وكان يصاحب العريس من يدعونه بحامد افندى . وحامد افندى هذا هو خليفة المسيو بريئير فى إدارة اعمال مراد بك . وكان رجلا خفيف الروح حلو الاداب رقيق القشرة طيب العشرة وكانا صديقين من قديم الزمان . وفيما هما يتجاذبان اطراف الحديث وإذا بسلطان بك باغتهما فى هذه الخلوة الحلوة قائلا :

— اظنك ياحامد افندى آخذا فى حمل البك العريس على هجر عيش الطيش والقصف إلى حيث يذوق حلاوة الراحة البيتية من الطريق الذى يحبه الله ويرضاه الناس . نعم

لك كل الحق فى ذلك . واملى فيك يابرهان أن تنصاع لهذه النصيحة وتدع تلك الحياة التى يسوق اليها نزق الشباب والتى يعقب اويقات سرورها فترات طويلة يتعثر الانسان فيها بالشوك والعوسج . ولتشكر الله الذى وفق لك إمرأة صالحة من كل الوجوه جميلة الخلق والاخلاق . وبينما هم على هذه الحال وإذا بمدام « بريتير » تلقى عليهم السلام . وكانت هـذه خارجة من باب الحريم حيث كانت تبارك للعروس ولأهل العريسين فاعترت برهان بك هزة الأضطراب ولـكنه تجلد ورد السلام فخصته معشوقته بنظرة اخترقت صميم فؤاده ثم تناولت يده قائلة : إنى أهنىء سعادة البك بهـذا الزواج السعيد . وأسأل الله أن يجعله ميمونا مباركا مقرونا بهناء العيش وراحة البال . قالت ذلك ثم جلست إلى جانبهم تحدثهم عن سفرتها . فسألها حامد عن صحة اختها فقالت أنها تعافت بحمد الله ولبثت قليلا ثم قامت وقد استعد الجميع للأنصراف فانصرفوا واستأذنت هى من العريس بالأنصراف فأذن لها ولـكنها همست فى أذنه « إنى انتظرك الليلة القادمة فلا تتأخر . فاذهش العريس هذا الطلب وسألها

أن تؤجل الزيارة إلى أجل ابعد فلم تقبل . قائلة يجب أن تحضر وإلاَّ . . . ولم تفرغ من هذه الكلمة الأخيرة حتى رأت زوجها مقبلا عليها فانضمت اليه وسلما على العريس وخرجا بسلام :

« مطبوعات مكتبة ومطبعة الشعب بمصر »

مليم
٧٠ رواية أسرار البولشفية
٥٠ « معجزة الهوى
٥٠ « بحر الشدائد
٥٠ « السحرة
٤٠ « الكنز الدفين
٤٠ « بائع الاحلام
٤٠ « الاسرار الغامضة
٢٠ « سر الاعتراف
٢٠ « فسحة الامل
٢٠ « الغرفة الملتهبة
٢٠ « ملجأ الشقاء
٢٠ « الشبيهان
٢٠ « الخاتم الساحر

﴿ الفصل الثالث ﴾

خرج المسيو برينير وامرأته وركبا مركبة اقلتهما حتى البيت وكان منزلا جميلا تحيط به حديقة واسعة الأطراف تظلل مماشيها الأشجار المكللة ببديع الأزهار وإلى جانب المنزل مسكن حامد افندى وكيل دائرة مراد بك . وكان من عادة المسيو برينير ان لا يدخل للنوم إلا إذا تفقد حواشى الحديقة ومماشيها ففى الليلة التالية لمح نوراً ضئيلا لاح له من نافذة غرفة إمرأته فقصدها ودخل منها فرأى إمرأته تستعد للنوم فبادرها قائلا :

— أين ذهبت الخادمة ؟

— لقد صرفتها لأنها متوعكة المزاج .

— حسناً فعلت . قال ذلك وعاد إلى غرفته وبينما هو فى طريقه اليها لاحظ أن باب الفسحة الداخلية لم يغلق فاغلقه وذهب .

— أما مدام برينير فانها التمست مقعداً جلست فيه تتقلى على أحر من الجمر جلست وقد تركت لهواجسها العنان

فى يمين الاخلاص الا تدرى أنك أتيت أمراً إداً وكنت من الخائنين ؟

- اقسم لك بكل عزيز وهو قسم لو تعلمين عظيم اتى لم أخنك ولن أخون . وإن قلبى لا يزال اكثر شغفاً بك منه قبل الآن . وإنى لأذوب فى حبك كما يذوب الصب الولهان

- صدقت يابك ! قالت ذلك وتكلفت ابتسامة صفراء

- لا تهزأى بهذا الكلام فانه الحق الصراح

- لا تقل حق صراح انك حسبتنى العوبة تهواها حيناً وتهجرها متى طاب لك الهجران . أتحبنى وأنت انتهزت فرصة غيابى فتزوجت وكأنك قلت انها إذا عادت ووجدت الأمر قد انتهى على هذه الحال اضطرت الى الرضاء والتسليم انك لا شك واهم فى هذا الفكر السقيم وقد جنيت بذلك جناية لا تغتفر على انه كان فى مكنتك أن تطلب الانفصال فتنفصل و نفارقك بمعروف .

لم يجد برهان بك أحسن من الاقرار بذنبه والتماس الصفح والغفران من مدام بربير تهدئة لخاطرها فينتهى بذلك الجدال على أحسن حال . فصمت قليلا ثم عاد فقال : انى

أشعر يا عزيزتى بأنك محقة فى ما تقولين ولكننى أعتذر لك وأؤكد لك حبى الدائم وإخلاصى الذى ليس بعده إخلاص واعلمى بأنى لما وجدت معين ثروتى قد نضب وإنى كدت أن أقع فى هوة عميقة ليس لها قرار وإن الأيام لاتلبث أن تسلط على من عواديها ما يطحننى طحن الدقيق ويبلغنى بلع الانسان للريق رأيت نفسى واقفاً بين نارين . أما الزواج « وإن كنت لا أهوى سواك » فاصلح أمورى بالثروة المنتظرة . وأما الانتحار فأخلص من عتابك والضيق ففضلت أقل الأمرين خطراً .

ـ نعم فضلت هذا العار .

ـ وأى عار ؟

ـ ان تتاجر بالزواج . وان تنكث معى العهد والميثاق .

ـ قلت لك . . . فقطعت عليه الكلام ولكنه عاد فقال:

ـ اسمعى حتى انتهى من الكلام .

ـ لا حاجة لى بكلامك كيف كان .

ـ إذن لم أفهم معنى دعوتك لى الى الحضور فى هذا المكان ؟

ـ ستعرف ذلك الآن . واعلم يا هذا ان زواجك لا يهمني من أمره شيء سواء قصدت به اقتناص المال أو لم تقصد أما إهانتك لي بهذه الخيانة التي نكثت بها عهد الوداد وميثاق الولاء فاني لا أصبر عليها ولن أتركها تمر دون أن تنال عليها قسطك من العقاب ؟

ـ عقاب ؟ . . وأي عقاب تريدين ؟

ـ الانتقام . وما أحلى الانتقام من طغمة اللئام !

ـ تبصري يا اميلين في الأمر واستقري عواقب هذا التهور والعناد . لقد استهواك الغضب وقد لا يوقعك إلا بين انياب العطب . فاتئدي وانظري ماذا تقولين

ـ دع ياهذا هذه الثرثرة والتهديد فالعقل رشيد والبصر حديد وليس ما اعدك به ببعيد .

ـ هذا اعلان بالعداء غريب .

ـ هو كذلك

ـ لله ما اقسى هذا القلب الصلد . وما اسرع ما تحول حبك الى الضد

ـ اصبحت اكرهك كراهة التحريم . بل كراهة الملاك

للشيطان الرجيم .

« قالت ذلك وكأنها عادت الى نفسها وثاب اليها رشدها فصمتت قليلا تتنازعها عوامل الاضطراب ثم اخذت تقول :

ـ الآن اخرج من امامى ياهذا الانسان . انى عدلت عن ان اطلق يدى بالقتل والسفح فانى عودتهما العفو والصفح اخرج ويكفيك انك خائن ونذل جبان .

لم تقل مدام برينير ذلك حتى تحول صاحبنا نحو الباب وألقى عليها السلام ثم خرج وهو لا يصدق بالنجاة من مخالب الخطر . أما برينير فانها تحولت الى مقعد وجلست فيه وقد اطلقت لعينيها عنان البكاء . وبينما هى على هذه الحال تحاول ان تنظم حلقات افكارها فى سلسلة واحدة وإذا بطلق نارى رن فى اذنها فأزعجها وافاقت له من سبات الذهول فأسرعت إلى النافذة لترى ماالخبر وقد بللها العرق وصبغت وجهها صفرة الوجل فلم تر شيئاً ولكنها اخذت تسمع وقع اقدام تبعه صخب الخدم . فتحولت نحو الباب فانفتح بعنف ودخل منه برهان بك فشخصت اليه باهتة فلم ينبس هذا بحرف ولكنه مد بيده الى الحائط واستند بالأخرى على

كتفها ودخل على هذا الشكل إلى الغرفة .

ـ أمجروح انت ؟ ما ذا جرى ؟

ـ جرحت يا اميلين . فانى بينما كنت خارجا من الحديقة وقعت عينى على رجلين كانا فى طريقى يتحادثان فتوجست شراً وهممت بالرجوع . وفيما انا راجع لمحنى رجل كان يتمشى فى حديقة جاركم فصوب نحوى مسدساً فأصابنى منه فى كتفى ما اصاب . وفيما هو يتكلم طار إلى اذنه وقع اقدام فصمت اما اميلين فانها عرفت صوت زوجها فصاحت : ان زوجى قادم الآن . . ادخل هذا الخباء واختف فيه حتى نرى لك مخرجا من هذا الضيق ، قالت ذلك وخرجت وقد مسكت بيدها قنديلا واسرعت إلى زوجها فلاقته فى فسحة البيت وكان هذا فى قميص النوم فلم تقع عينه على زوجته حتى بادرها سائلا مستفسراً : ما ذا جرى ؟ ما ذا جرى ؟ ولم هذا الباب مفتوحا ؟ واشار بيده إلى باب الحديقة .

ـ انا الذى فتحته عند ما سمعت هذا الطاق . وكنت اريد النفوذ منه إلى جوانب الحديقة لأرى ما الخبر .

ـ وما الذى رأيته ؟

ـ لم أجسر على الخروج لان الوهم اناخ بكلكله على قلبي فلم يدعني احرك قدما لخطوة . وبينما هما على هذا الحديث وإذا بظل لاح لهما في الحديقة وسمعا على أثره صوتا يقول :

يا مسيو برينير ! يا مسيو برينير !

عندئذ التفت المسيو برينير ليرى من الهاتف وإذا به بواب الجار فبادره بالسؤال : ما ذا حرج ؟

ـ ألم تعثر بالسارق

ـ بالسارق ؟

ـ نعم بالسارق الذي اطلقت عليه الطلقة التي سمعتماها فان ذلك الشقي اعتاد ان يأتي كل ليلة ليسرق ما تيسر . وكثيراً ما ضاعت من غرفتي اشياء كثيرة لم اكن اعرف إلى أين طارت .

ـ وهل تبينت من ملامحه شخصه ؟

ـ لا يا سيدي . وكيف أراه في هذا السواد الحالك لقد حاولت ان امسكه ولكنه افلت صارخا يا مدام . . ثم اختفى عن عيني . ولكن المهم ان الطلقة أصابته وستورده فمه إن شاء الله . على انى رأيته تحول نحو هذا الباب

« واشار إلى باب الحديقة »

ـ لم نره هنا . والظاهر انه تحول إلى جهة أخرى .

قال ذلك ثم التفت إلى زوجته قائلا : ادخلي إلى غرفتك ولا تخشى شيئاً فسأوصي الخدم ان يكمنوا في اعطاف الحديقة وزواياها بقية الليلة .

عادت اميلين برينير إلى غرفتها واغلقت الباب ثم دخلت إلى مخبأ برهان بك فوجدته مغمى عليه . وكانت ملابسه ممزقة من فوق كتفه . أخذت اميلين ترسل على وجهه رشاشاً من الماء البارد ليفيق فأفاق وفتح عينين ذابلتين ثم اراد الكلام فأشارت اليه بالامتناع فامتنع .

ـ لا تجهد الآن نفسك في الكلام واستجمع قواك فانك عما قليل ستضطر للخروج التماساً للنجاة . واعلم بأنهم رأوك تحولت نحو باب الحديقة هاربا من وجه الضارب .

قالت ذلك وهبت من مكانها على اثر سماعها لصوت زوجها يرن في فضاء الفسحة الداخلية فخرجت وأغلقت باب الغرفة على برهان بك وتناولت كرسياً جلست فيه واجتهدت ان لا يظهر على وجهها أثر من آثار الاضطراب والانزعاج

وفيما هى جالسة دخل المسيو برينير قائلا لها . اننا وجدنا الباب الصغير مفتوحا والظاهر أن الشق نفذ من ذلك الباب ولا أدرى من أين جاءه المفتاح . فانى عند ما طفت الليلة بالمنزل لم أجد هذا الباب إلا مغلقاً .

— ربما كسر طبلة الباب

— لا . ليس هناك أثر لكسر ما . على اننا سنرى جلية الأمر فى الغد إن شاء الله . هذا وقد أوصيت الخدم بالتربص والكمون .

— الخدم يتربصون ؟

— نعم يتربصون . وهل فى ذلك ما يوجب هذه الدهشة وهذا الاستغراب .

— لا شىء البتة من ذلك . وإنما هو مجرد سؤال جاء على غير قصد ممزوجاً بلهجة الاستغراب . قالت ذلك ثم تكلفت ابتسامة صفراء

— لا تخافى شيئاً ونامى نوماً هادئاً هنيئاً وذوقى من حلاوة الاطمئنان ماشئت فان الخدم متيقظون . والآن استودعك الله قال ذلك وخرج قاصداً غرفته وترك اميليين تتقاذفها الحيرة

والاضطراب لأنها لم تعد ترى لبرهان بك مخرجا من هـذا الضيق المستحكم الحلقات .

﴿ الفصل الرابع ﴾

— أتظن أن الذى أصبته بطلقتك هو برهان بك ؟

— نعم يا مولاى .

— وان برهان بك اختفى عند امرأة المسيو برينير ؟

— بلا شك

— وأن هذه خبأته بغير علم زوجها ؟

— نعم .

— وماذا تستخلص من كل ذلك ؟

— استخلص أن برهان بك ليس بسارق

— إذن

— إذن فهو عشيق مدام برينير

— وهل يعقل أن يأتى اليها فى أول ليلة بعد ليلة الزفاف

— هذا بعيد الوقوع ولكن ما الحيلة وقد وقع ؟

هـذه نتفة من الحديث الذى دار بين حامد أفندى

وخادمه حسين على أثر ما ذاع وشاع من أمر تلك الليلة وحامد افندى هذا هو خليفة المسيو برينير فى إدارة أشغال مراد بك كما سبق بذلك الكلام . ونقول الآن انه كان الرجل الوحيد الذى يعتمد عليه مراد بك فى ادارة اعماله والنظر فى شؤونه المالية والاقتصادية . وهو الانسان المفرد الذى وضع فيه ثقته بحذافيرها حتى أنك كنت لا ترى مراد بك يبت فى أمر بغير استشارته لأنه رأى فيه الاخلاص فى العمل والدأب على الاجتهاد ولذلك أجزل راتبه . وقد جرى بذلك على غير خطة بقية المثرين من الوطنيين الذين تفنى جسوم مستخدميهم فى خدمتهم ويكون جزاؤهم فى النهاية من أسوأ الجزاءات بشغل دائم ونصب ملازم حيال مرتب تافه لا يكفى لقضاء الضروريات فضلا عن الكماليات . حال سيئة يصبح معها المستخدم وهو لا يرى الحياة أمام عينيه الا ممثلة فى الأكل والشرب والنوم . وهذه كلها لا شك ثالوث الشقاء.

لحى الله انسان مناه وهمه

من العيش ان يلقى لبوسا ومطعما

— نعود الى حامد افندى فانه لم يسكت لحظة حتى عاد

الى السؤال :

— ولكن كيف عرفت ياحسين ان المجروح هو برهان بك وليس أحدا سواه ما دمتم لم تقفوا له على أثر

— ان المسيو برينير أوصانى أن اكمن مع بعض خدمه فى أعطاف الحديقة وزواياها حتى اذا ظهر السارق ضيقنا عليه الخناق ولكن كل ذلك لم يجد فتيلا فأننا لم نلبث نصف ساعة حتى قامت الزوابع والرياح ولم يعد البقاء فى الحديقة ممكنا لأنسان . فلم ير زملائى أحسن من الرجوع إلى غرفة البواب التماسا للراحة وقد فعلت ذلك أيضا غير أننى كنت انظر من نافذة الغرفة . وكان المطر يتدفق مدرارا والبرق يومض مرارا وتكرارا وبينا أنا على هذه الحال وإذا بشبحى إنسانين بدا آ يظهران لى من جانب الباب المؤدى إلى مماشى الحديقة . فتبعت بعينى الظلين فرأيتهما رجلا وإمرأة انحدرا من السلم وقصدا توا باب السر ومنه خرج الرجل ورجعت المرأة فتفرست فى وجهها وإذا هى مدام برينير بعينها . فلما رأيت ذلك تحولت نحو النافذة المطلة على الشارع وإذا بذلك الرجل يركض إلى جانب الحائط وكان الوحل

إلى الركب . والمطر ينساب فوقه كأنه ينهمر من أفواه القرب. ولكنه لم يبعد حتى رأيته وقف بغتة ثم سقط ملقى على الارض. فوجف قلبي وقف شعر رأسي ودب إلى فؤادي دبيب الشفقة والحنان على ذلك الأنسان . فللحال أسرعت اليه وأذا به برهان بك مغمى عليه . فلم افعل اكثر من نقله من الطريق إلى كوخ فى هذا المكان . ولكنى لم اجد الكوخ خاليا من السكان . رأيت فيه ذلك الرجل الذى يسمونه « عامر المجذوب » وكان نائما والظاهر أنه أمضى ليلته فى السكر والعربدة لأنه كان اقرب إلى سكون الموت منه إلى حركة الحياة . واظنه ياسيدى هو ذلك الشقى الذى يسرقنا من آن لآن . وإن مامنعه عن سرقتى فى هذه الليلة سوى سكره الذى القاه بلا حراك .

— اتركنا من هذا السكير وقل لى ماذا عملت مع برهان بك ؟

— عملت له بعض الوسائل المنعشة فافاق وأول كلمة فاه بها كانت ارجوان تذهب بى إلى صديقى الدكتور نانتيل فاضطررت لأن انتظر ريثما ينقطع المطر فلم ينقطع إلا فى

الساعة الرابعة صباحا . وبينما أنا استعد للتوجه ببرهان بك إلى صديقه الدكتور وإذا بعامر المجذوب قد أفاق من سكرته مستيقظا من نومته ولا تسل عن مقدار دهشته حينما رآنا فى كوخه ملوثين بالطين مبللين بالماء لاسيما وان برهان بك كان ممزق الثياب من حيث اصبته بطلقه العيار . ولكنى لفقت رواية قصصتها عليه فصدقها . وخرجنا فقصدنا دار الطبيب دون أن يرانا إنسان

— اعلم ياحسين أن هناك خطرا يتهددك إذا أشاع عامر المجذوب ما كان من أمرك فى تلك الليلة مع برهان بك فالأوفق ان لاتبوح بشىء مما قصصت علىّ الآن وتجاهله ما استطعت إلى ذلك سبيلا . والا كان الخطر أقرب اليك من حبل الوريد

— لك علىّ ذلك يامولاى .

— وهل برهان بك لايزال عند الدكتور ؟

— أظن ذلك فأن الدكتور اعطاه شرابا مخدرا فنام .

— إنك اذاً جرحته جرحاً بليغاً ياهذا .

— لا ياسيدى . فأن الرصاصة التى عبأتها فى المسدس

كانت من الحجم الصغير .

ـ ولكنه يموت اذا اصابت منه مقتلا .

ـ أؤكد لك بأن الجرح ليس بليغا كما تظن . فقد قال لى الدكتور مؤكدا بأن برهان بك لا يلبث حتى يتقلب فى ثوب العافية فى القريب العاجل ان شاء الله . هذا وقد أوصيت الدكتور بأن لا يبوح بشىء عن هذه الحادثة . ولكنى ذكرت لك ماذكرت لأعلمك بشىء حصل من خادمك فى ليلة تغيبت فيها عن المنزل . منعا للقال والقيل . واجتنابا لسوء التأويل .

ـ سأذهب الآن إلى الدكتور واجتهد أنت ان لا تبارح هذا المكان . وفى الحال قام حامد افندى قاصدا منزل الدكتور فوجد مراد بك هناك . فلما دخل بادره البك وكانت أمارات الكدر ظاهرة فى محياه :

ـ اظنك ياحامد افندى جئت هنا للأستفسار عن صحة برهان بك . لقد علمت إذن شيئا من حادثة الليلة ؟

ـ كل الذى علمته يامولاى ان البك جرح ولا ادرى اكثر من ذلك تفصيلا

ـ هو كذلك . فأنه سقط فى حفرة عثر فيها فى الطريق فانصدع كتفه وانخلع العظم من مكانه . على أننى لم أفهم سبب وجوده تلك الليلة فى الطريق . وهى كما تعلم الليلة الأولى بعد ليلة الزفاف .

فأسرع الدكتور بالأجابة قائلا (وكان موصى من قبل برهان بك ان لا يفشى سر المسئلة) : لست ادرى بامراد بك . ولكن كل الذى اعرفه ان البك الجريح شعر فى تلك الليلة بضيق شديد ضيق عليه الخناق . فخرج التماساً لأستنشاق الهواء . وبينا هو فى الطريق واذا بريح عاتية باغتته والقته فى الحفرة التى لم يرها لأن ظلام الليل كان حالكا . وعلى كل حال فالبك فى امن وامان وسيعود هذه الليلة الى بيته العامر ريثما يغير ثيابه فقال مراد بك : من يلغك الخبر يا حامد افندى فانه لم تمض على الحادثة غير بضع ساعات ؟ فأجاب الدكتور انى فى الساعة التى بعثت فيها بالخبر اليك أخبرت فيها حامد افندى وبعثت لابنتك العزيزة بالخبر وفيما هم يتكلمون اخذا وردا . واذا بدوى عربة وقفت بباب الدكتور ولم تمض لحظة حتى دخلت خادمة تشعر بقدوم زوجة

برهان بك عندئذ هب مراد بك من مكانه وأسرع الى السلم لمقابلة ابنته فلم تقع عينه عليها حتى قرأ الاضطراب فى عينيها فأخذ يؤكد لها سلامة البك قائلا : انه سقط فى طريقه وأن الجرح الذى اصابه صغير لا يلبث ان يلتئم . وزادها اطمئناناً على اطمئنان ان الدكتور يبشر بقرب تعافى البك وانه سيعود الى بيته ربثما يبدل الثياب . ولم تمض لحظة حتى ظهر البك الجريح للجميع وكان ممتقع اللون ولكنه تكلف الثبات وشيئاً من الابتسام بعد اداء واجب الشكر والسلام ثم قصد الغرفة الثانية حيث تنتظره امرأته مع ابيها فلما راهما القى التحية ووجه كلامه لامرأته قائلا : لقد ازعجك من حمل لك النبأ الذى جاء بك الى هذا المكان : فانى كنت آتياً بنفسى فتعلمين منى ان الامر بسيط

— الحمد لله على سلامتك كيف كان الحال

مراد بك — اظنك اذا قمت الآن الى المنزل لتستريح من عناء الالم تكون قد فعلت صوابا .

— اذا شئت ان تصحبنا زدتنا سروراً

— ربما زرتك فى صباح الغد

— لا بأس ياسيدى البك . قال ذلك ثم تحول نحو الغرفة الأخرى فسلم على الجميع بعد ما استأذن بالأنصراف . على أن الحيلة لم تنطل على مراد بك ولذلك بقى بين مصدق ومكذب لما لفقه عليه الدكتور . إلا أنه اضطر أن يظهر شيئاً من الأقتناع حتى يحسر عن وجه الحقيقة القناع . وبينما هو يهم بالانصراف وإذا بمن يدق الباب فانفتح الباب وظهر من ورائه المسيو برينير مضطربا مبهوتا فسأل : أصحيح ما يقال من أن برهان بك جرح وجىء به إلى هنا محمولا . وان الذى جرحه هو الخادم حسين . فلم يقل ذلك حتى بهت الجميع من هذا الخبر وتوجس حامد افندى شرا يتهدد خادمه حسين ولكنه أجاب بثبات جاش نافيا لصحة هذا الخبر . قائلا : ان خادمى لم يصب البك بشىء ولكنه أطلق عياراً نارياً على رجل اعتاد أن يسرقه من آن لآن . أما جرح برهان بك فهو لم يكن إلا نتيجة سقوطه فى حفرة إعترضته فى الطريق . وعلى فرض اصابته من يد الخادم حسين فما رأيك فيما قيل من أن الذى جاء به إلى هنا هو نفس حسين عندئذ قال الدكتور : أؤكد لكم جميعاً بأن البك

الجريح جاء بمفرده . وان الجرح ليس بجرح رصاصة وبرهانى على ذلك تعافى برهان بك فى وقت قصير جداً

فلنذهب لنعرف جلية الأمر من حسين . قال ذلك برينير وقد لاحت فى وجهه علائم الانشغال والاهتمام

حامد افندى — حسين ليس هنا الآن . ولكنه فى عزبتنا بجهة قليوب

برينير — ولم كان البك فى الطريق ؟

الدكتور — أنه أحس بضيق فى صدره فخرج تلك الليلة التماساً للهواء . وبينما كان يتمشى قامت ريح عاتية اعقبتها الزوابع والأمطار فسقط فى حفرة لم يرها لشدة ماتلبد فى الجو من الغيوم ولسرعة عدوه التماساً للنجاة . وقد تسبب من سقوطه أن كتفه انصدعت وانخلع عظمها من مكانه . فقاطعه المسيو برينير وقد حملق اليه بعينيه .

— هل أنت واثق بما تقول تمام الوثوق ؟

— ان كنت لاتصدقنى فما كان أغناك عن السؤال .

— عفواً ياسيدى الدكتور . ولكن لابد من وجود علاقة بين الرصاصة التى أطلقها حسين وبين الجرح الذى

أصاب البك.

— إذن فأنت غير مصدق لما أقول ؟

— شهد الناس أجمعون بأنهم رأوا حسين جاء بالبك إلى هنا .

— كيف يكون هو الضارب والمحضر له إلى هنا فى آن واحد ؟

عندئذ هب مراد بك من مكانه وقد ظهرت على وجهه علامات الغضب وعبثت بقلبه فواعل الحنق والغيظ : وما الغرض من هذا الأخذ والرد فى الكلام ؟ بل ماهى هذه التهمة التى توجه للبك . وجد مع حسين أو لم يوجد . انى لا أفهم لهذا الجدال معنى . قال ذلك وقد شخص بعينيه إلى المسيو برينير فلم يسع هذا إلا الخفض من لهجته والأعتذار عما فرط منه فى كلامه من الحدة والأهتمام . قائلا (وقد أخذ يلتزم جانب الهدو والسكون) . لاشىء هناك يتهم به حضرة البك ولكن الغموض والابهام اللذين يخيمان على وجه هذه المسئلة جعلانى لا اعرف لها سراً . قال ذلك واستعد للأنصراف فخرج مسلماً بالأشارة دون أن يضع يده

فى يد احـد .

﴿ الفصل الخامس ﴾

عاد برهان بك إلى بيته وقد أخذ من ذلك الحين يتقلب فى ثوب العافية بينما إمرأته تتقلى من القلق وتنهكها الخيالات والهواجس بل تكاد تغرقها لجج الفروضات وأمواج التأويلات فأنها أخذت تؤول خروج زوجها البك ثانى ليلة زفافه إلى معانى شتى سلبتها راحة الضمير وحلاوة الأرتياح. وقد زاد انقباضها ما بدأت تلمحه فى عين البك من أمارات الانشغال وانصراف فكره عن الأهتمام بأمرها . وقد خيل لها من ذلك الحين أن مهواة عظيمة أخذت تفصلها عن برهان بك . وان آمالها فى نعيم الزواج وسعادة الحياة البيتية وأمانيها فى المستقبل أخذت تسقط فى تلك المهواة .

أما برهان بك فأنه لم يكن أقل من إمرأته انشغالا وكثيراً ما كانت تطوى عليـه الساعات وهو غريق بحار الهموم والأفكار . وفيما هو فى ضحى ثانى يوم بعـد ذلك الحادث يسبح فى فضاء الهواجس وإذا بضجة أزعجته فأفاق

لها من سبات الذهول . ولما أطل من النافذة ليرى ما الخبر. وقع بصره على صعلوك رث اللباس يطلب الدخول اليه وكان الخدم يمانعونه ويقذفون به إلى الخارج . فلما رآه برهان بك عرف من وجهه أنه ذلك الرجل الذى حمل إلى كوخه على أثر اصابته بالعيار النارى . فخاف ان يكون هناك سر قد يذيعه هذا فيفتضح به امره . وعلى ذلك بعث إلى الخدم ان اسمحوا له بالدخول وبادره البيك سائلا .

— من انت ؟ وما الذى جاء بك الينا الآن ؟

فانحنى الصعلوك إجلالا واحتراما . وابتسم تحية وسلاما. ثم قال فليسمح لى حضرة البك ان لا اتكلم حتى تغلق الابواب تمام الأغلاق .

- هو كذلك

- يهمنى قبل التكلم ان اثق من ان لا ثالث يسمعنا فى هذا المكان

- هو كذلك

- هل يسمح لى البك بالجلوس ؟

- لا بأس

جلس العصلوك امام البك وجها لوجه وأخذ يقول : إنى ياسعادة البك ذلك الرجل الذى يلقبونه «عامر المجذوب» ظلما وعدوانا . جئت لأنى عثرت على شىء لك . وأرى من الواجب ان اسلم شيئك اليك . قال ذلك وناوله منديلا ملوثا بالدم .

— وهل لمثل هذا الأمر التافه جئت تظهر كل هذا الأهتمام ؟

ـ نعم ياسيدى البك . الا ترى اسمك الشريف مرسوما على ذلك المنديل ؟

ـ حسن . اترك هذا المنديل وخذ هذا العوض الجميل . قال ذلك وناوله ريالا . فتناوله الصعلوك فلم يتبينه حتى جحظت عيناه وصاح مستغربا : ريال ! ريال :

ـ إذن كم تريد ؟

عندئذ شخص اليه الصعلوك وقد اظهر من ثبات الجاش ما ادهش البك ثم قال بتوءدة : اطلب الف ريال .

ـ ماذا ؟ ماذا تقول ؟

ـ قلت الف ريال بلا زيادة ولا نقصان .

ـ انك معتوه ياهذا الانسان

ـ كلا ياسيدى البك . واعلم انى صعلوك فقير تجرعت من مرارة العيش الضنك غصصاً ليس بينها جرعة واحدة من الهناء والسرور ولم اصدق انى عثرت على هذه اللقية حتى اخذت ادبر الوسائل التى اعيش معها بقية ايامى فى خفض عيش وبسطة غنى . فوجدت بعد البحث والتحرى ان الف ريال تكفى لتمهيد ذلك الطريق . فقاطعه برهان بك مغضبا : خذ منديلك ياهذا وانصرف بسلام . فأنه لا يهمنى من امر المنديل شىء : قال ذلك وحول بيده ليدق الجرس فصاح به الصعلوك قائلا . بالله لا تعجل . فأن للحديث بقية .

ـ وماذا يهمنى من حديثك ياهذا قال ذلك وقد رفع يده عن الجرس .

ـ انه يهمك كثيراً ياسيدى البك . بل يتعلق به صيانة شرفك الرفيع من الأذى . ويكفى ان تستعرض بفكرك مايجره عليك علم الناس عموماً وبرينير ومراد بك ولفيف الاقرباء خصوصاً . من انك فى الليلة الاولى بعد ليلة الزفاف

كنت خارجا من بيت المسيو برينير وان . .

وهل تجسر أن تقول ذلك ؟ قال هذا وقد تناول بيده عصاة التهديد والوعيد . ولكن الصعلوك لبث واقفاً فى مكانه ثم قال اضرب ماشئت أيها البك الموقر . نصيحتى اليك أن تتجنب ما استطعت كل شىء يؤدى الى الهرج والمرج فيعلم الناس ماجاء بى الى هنا وينفضح ما اتفقت على كتمه مع الدكتور نانتيل والخادم حسين هل تريد ان أقصد المسيو برينير فأبيعه ذلك المنديل

— لايصدقك أحد . وما شأن هذا المنديل ؟ انه منديلى حقيقة ، وجوده معك لايثبت شيئاً ما . أما الدم الذى تراه فيه فذلك من أثر الجرح الذى أصابنى بعد سقطتى ليلا فى حفرة بأحد الشوارع . ولا شك فى انه سقط منى حتى وصل اليك .

— عفواً أيها البك المحترم . أظننتنى كنت نائما تلك الليلة التى حملت فيها الى الكوخ الذى كنت أسكن فيه ؟ كلا ياسعادة البك فان قصف الرياح وهزيم الأعصار لم يدعانى أنام . وقد لمحتك بهاتين العينين خارجا من حديقة

المسيو برينير .

— وما حجتك اذا طلب منك البرهان ؟

— وأين ذلك الطاق الذى أصابك به الخادم حسين . ألم يكن يظنك لصاً . فوجدك معشوقا للمدام .

— كذب وبهتان .

— اذن من أصابه حسين وحمله الى صاحبك الدكتور فانتيل . وهلا تعلم ان الناس رأوكما تقصدان منزل ذلك الدكتور .

كل هذه وساوس وأحلام . قال ذلك ثم أخذ يضرب أخماسا لأسداس وصمت آونة أطلق فيها لنفسه عنان التفكير والالتفات. فلاح له الخطر يتطاير شرره من فم ذلك الصعلوك وان فى اقراره على هذا النسق سهاما مصوبة الى صدره تمام التصويب ولهذا وذاك لم ير أحسن من الاتفاق معه كيف كانت الحال . فلم يصمت تلك اللحظة حتى عاد فقال :

— ليس فى الامكان ان اعطيك الآن اكثر من مئتى ريال .

— لا بأس بها . » قال ذلك وقد اسكرته خمرة الظفر

فتهلل وجهه فرحا وفاض قلبه يسراً وسروراً » على شرط ان تنقدنى البقية الباقية بعد خمسة عشر يوما . واظن انه ليس بعد هذا مبالغة فى التساهل

— واذا سلمت لك المئتى ريال فمن يضمن لى ان لا تبوح .

— تأكد ياسعادة البك من احتباس هذا السر تحت تراثب هذا الصدر وسأسافر فى صباح الغد الى بلدى ولا أعود الا فى أجل الاستحقاق. والآن تفضل باعطائى المنديل

ـ كيف أعطيك اياه . وهو ضمانة لى عليك .

— وأى ضمانة ياسيدى ألا تعلم انه من صالحى ان لا اذيع شيئا فلا افقد بقية الالف ريال . أليس المنديل هو سلاحى الوحيد ؟ فكيف اتركه وأنا لم استوف حقى بعد .

— واذا لم اجد سبيلا للحصول على الثمانمائة ريال . فماذا العمل ؟

ثمانمئة ريال ليست شيئا يذكر بجانب ثروة سعادة البك وانه ليصرف اضعافها فى ليلة واحدة

— ألا تمهلنى شهراً بدلا من الخمسة عشر يوما؟

— هذا مستحيل الحصول . لقد قلت لسيدى البك خمسة عشر يوما فيجب ان تكون المهلة كذلك بلا زيادة ولا نقصان .

حينئذ وقف برهان بك فى موقف الحيرة حيال هذا الصعلوك ورأى لا سبيل غير القبول اتقاء الفضيحة والعار .

عندئذ ناوله المنديل ثم تحول البك الى غرفة أخرى حيث تناول اربع ورقات من اوراق البنكنوت بأربعين جنيها ورجع الى الصعلوك فناوله اليه ودسها هذا فى جيبه ثم وقف وانحنى امام البك قائلا : موعدنا مثل هذا اليوم بعد مضى اسبوعين وخرج مسلما باحترام . وفيما هو خارج من باب المنزل . وكان البك مطلا من النافذة يراقب خروجه واذا بمراد البك داخل من باب السراى فاضطرب برهان بك من هذا الاتفاق الغريب . ثم تحول عن النافذة الى بهو الاستقبال وهناك استقبل مراد بك الذى بادره بالسؤال مستغربا :

— ما الذى جاء بذلك الصعلوك الى هذا المكان . وهل البك سيد المماليك اصبح اليوم يقابل الصعاليك ؟

— لقد جاء الى هنا ليرد لى منديلا وجده فى الطريق

— وأين الهانم

— انها فى الدور الأعلى . وسأبعث بطلبها الآن .

— لا . سأراها هناك . وأنت كيف صحتك الان

— الحمد لله على الصحة والعافية يامراد بك . ولكن الأقاويل الفارغة والتهم الباطلة التى تصوبها الىّ عامة الناس بمناسبة ذلك العيار النارى الذى اطلق صدفة ليلة سقوطى هى التى لم يندمل جرحها من قلبى وانى وان كنت شفيت نوعاً فانى لاأزال أتألم مما توجهه الىّ الناس من التهم أليسوا يتهمونى بأنى عاشق لمدام بريفير . أليس هذا من السخافة بمكان؟

— مالنا ولهذا الحديث الذى لاطائل تحته . فلندعهم يهذون ماشاؤا الهذاء فمن الذى يعطى التخرصات جانب الاهتمام . فلنشتغل بأمورنا . ألست وعدتنى بقبول الاشتراك معى فى ادارة أعمال الدائرة .

— نعم لا أزال على ماقلت لك . ولكنى انتظر حتى يتم لى الشفاء .

— اعلم ياولدى انى اليوم فى أخريات أيامى ولذلك فانى أشعر من صميم قلبى بحاجتى لرجل مخلص مثلك فاضع ثقتى فيه

وأشاطره عبء الاثقال التى ناء بها ظهرى . ولك أن تأتى متى شئت الى مركز الدائرة فتقف على حركة العمل . وكفى تلك الايام التى امضيتها فى بسط ولعب . واعلم بأنه لا أحلى من الثمرة تخرج من أكمام الجد والنصب . — لا شك فى ذلك .

— الآن يسمح لى ابنى بالانصراف . وفيما هو يهم بالانصراف دخلت ابنته فلما وقع نظرها على أبيها قبلت يده فبادرها قائلا : لقد جئت استفسر عن صحة البك فشكرت الله على سلامته والآن أتركك كما لتستذربا بأكناف الراحة والسكون . وبودى لو يحضر البك غداً الوليمة التى سأقيمها للمسيو برينيير وعائلته . قال ذلك وانتظر رأى برهان بك (وكان هذا فى أقصى درجات الحيرة والاضطراب) فلما رأى ان مراد بك ينتظر كلمته أسرع معتذراً .

ان الجرح ياسيدى البك لم يلتئم بعد . وأرانى فى حاجة الى الراحة . فلم يشأ مراد بك أن يلح فى طلبه ولكن الانقباض والامتعاض عبثا به فخرج يتعثر فى أذياله وودع برهان بك وزوجته ثم انصرف يستعيد النظر فى مسئلة العيار النارى الذى أثار زوبعة التقولات .

﴿ الفصل السادس ﴾

خرج مراد بك مغضباً لأن برهان بك أبى حضور الوليمة التى سيولمها لعائلة برينير . وكان مراد بك يقصد بتلك الوليمة أن يجمع بين مدام برينير وبرهان بك فى ساعة واحدة ليقرأ فى وجهيهما حقيقة الحال . أما مراد بك فانه قال فى نفسه على أثر ذلك الرفض : إذا ثبت بأن المعيار النارى الذى أطلقه الخادم حسين أصاب حقيقة برهان بك صح حينئذ مايقوله الناس من أن البك قد غش إمرأته وأنه حقيقة معشوق مدام برينير وعلى هذا النسق أخذ صاحبنا يطلق لهواجسه العنان . وفيما هى تهيم فى عالم الخيال وإذا بها قد ارتطمت بحجر غليظ سد عليها منافس الفضاء . صدمة هائلة ارتجت لها أضالع البك واستكره لدويها مسمعه فطار لبه وكاد يذوب أسفا وأسى . رأى انه أولا اخذ على عاتقه أمر تزويج ابنته فلم يقم بواجب الفحص والتدقيق عن شؤون العريس حق القيام وكل الذى عمله انه نظر للمسئلة نظرة حمقاء ولم يحسب لعواقب هذه النظرة حساباً مذكوراً تمثل

له ذلك الخاطر مصوراً فى ثوب الظهور أو البيان . ثم جال بنظره إلى ما عساه يجره عليه علم الناس عموماً . وإبنته خصوصاً من أن برهان بك يسلك طريق العشق والغرام ويشاطر مدام برنيير عواطف الحب والهيام مايجره كل هذا من فتور العلاقة التى تربط ابنته بزوجها «برهان بك» وما يترتب على ذلك من همود شعلة الأخلاص بين العروسين فتنهار آمال ابنته فى ابيها الذى وكلت اليه أمر النظر فى أولى النقط المهمة التى تستمد منها كل فتاة نصيبها من الشقاء او الهناء فلما يعطها حقها من التدقيق والأهتمام حتى اصبح امرها فرطاً . ثم نفذ بفكره إلى النتيجة النهائية التى يؤول اليها امر العروسين فرأى حياة منزلية مملوءة بالأكدار غاصة بالآلام . رأى ذلك الطريق المفروش بالورد والزهور وقد بدأ يظهر ملؤه الشوك والعوسج وان سعادة ابنته ستعثر فى هذا الطريق باذيال القنوط والأخفاق . كل ذلك مر بين حائطى مخيلته وهو يخطو فى غرفته على غير هدى . وكان الدم يصعد فى وجهه ففاض صدره بالغيظ وطفح من الحنق ثم وقف بغتة وقال فى نفسه : سأسعى للوقوف

على سر ارتباط برهان بمدام برينير . وعلى الأسباب التى جعلته يرفض حضور الوليمة التى سأقيمها لعائلة برينير . سأسعى لكشف هذه الأسرار واستقصاء هذه الاسباب مهما كلفنى كل ذلك من الجهد والمال . وهكذا بقى مراد بك بين هذه الهواجس لايهدأ له بال وصار يتنقل فى بحار الأفكار على غوارب الأمواج تقذفه موجة لتتناوله اخرى فلم ير احسن من التوجه لزيارة حامد افندى ساعده اليمين ومشيره الأمين

﴿ الفصل السابع ﴾

خرج مراد بك من بيته وفى عينيه قبس من نار الغيظ شديدة الاحتدام خرج قاصدا حامد افندى وكان لهذا غرفة عملية خصوصية لا يفصلها عن منزل مراد بك غير عمارة إدارة اشغال الدائرة . وكان حامد هذا رجلا فاضلا نشيطا ذا همة عالية لا تفتر عن البحث والتنقيب فى تضاعيف المسائل الاقتصادية وطيات الأعمال الجارية اهتداء إلى خير الوسائل العائدة على الدائرة بالخير الشامل والارتقاء . وبهذا وذاك عرف كيف يدبر تلك الحوزة الواسعة التى عهدها اليه مراد بك حتى ان الثروة كانت تتضاعف بين يديه . وكان كثير الحب للعمل حتى ان خفير الدائرة كثيرا ما كان يلمح من خلال نوافذ غرفة حامد الخصوصية نورا لا تهمد شعلته إلا عند منتصف الليل وكان اذا تأخر فى عمله إلى هذا الحد قضى ليلته فى غرفة اعدت لنومه هناك حتى لا يضيع الليلة بين ذهاب إلى منزله وإياب . وكان يسكن بيتا بعيدا عن محل عمله

قلنا ان مراد بك قصد زيارة حامد افندى فكان ذلك ولما تحول الى غرفة هذا الأخير وأخذ يتجاذب اطراف الحديث مع سلطان بك عم برهان بك فاستأذن بالدخول فأذنا له وبادره سلطان بك قائلا : اننا نتكلم فى مسئلة الحادث الذى اصبح موضوع القيل والقال . ولكن اسمح لى ياحضرة البك بأن أؤكد لك شرف نسيبك ولولا ذلك لما كنت توسطت فى امر تزويجه بأبنتك على انه لايعقل بأن خروج برهان بك فى أول ليلة بعد ليلة الزفاف بقصد استنشاق الهواء كان لزيارة مدام برينير

- بودى لو تعرى تقولات الناس من صبغة الصحة والأهمية . فيصح ماتقول . فأن ذلك من صالحى قبل كل انسان . ولكن مالعمل لأزالة هذه الشبهات . قال ذلك مراد بك وقد حدق بعينه إلى حامد افندى كأن يسأله رأيه فقال هذا : تأكد ياسيدى البك بأن كل ما يقال عن خيانة برهان بك هو افك ومحض بهتان وستجسر الأيام عن وجه الحقيقة نقاب الابهام ان شاء الله . غير انى ارى من الحكمة اسكات تلك الألسنة التى ملأت الدنيا قيلا وقالا . ولا

ارى احسن من القاء ذلك على عاتق الخادم حسين فأنى سأوصيه باتخاذ الطرق التى توصل الى اسكان هذه الربع القائمة .

- حسناً تفعل ياحامد افندى . ولكن اين الخادم حسن حتى نكلمه بهذا الشأن ؟

- بعثته إلى منزلى فى مهمة . والظاهر انه لم يعد للآن . قال ذلك بينما كان سلطان بك يستعد للانصراف فوعد هذا صاحبنا باستقصاء الحقيقة قائلا انه لايقصر فى إبلاغها له أو عليه . وانه سيجتهد من جهة أخرى فى الاجهاز على كل ما شاع وذاع من أمر تلك الليلة . قال ذلك وانصرف . وعلى أثره انصرف مراد بك مودعاً من حامد افندى

عاد حامد افندى الى غرفته ونفذ منها الى غرفة ملاصقة لها كان فيها الخادم حسين متستر عن عين مراد بك حتى لا يتعرض للكلام فى هذا الموضوع فبادره حامد افندى قائلا : يجب أن تبقى مختبئاً هنا حتى المساء . فاذا أسدل الليل سدوله وجب أن تثب من هذه النافذة عند ماتخلو الطريق من السابلة . ومن هذا الطريق يجب أن تذهب تواً الى المنزل

دون أن تلوى على أحد . واعلم بأنى قلت لمراد بك بأنك لست هنا وانى بعثتك الى منزلى وانك لاتزال هناك . فاذا رآك البك وسألك عن حادث تلك الليلة فلا تقل أكثر من انك رجعت الى غرفتك بمنزلى وقت ما ثارت الزوبعة وهبت على أثرها الرياح . هذا وقد أوصى الدكتور نتيل برهان بك أن لايقول بأنه رآك فى تلك الليلة . وبذلك تمرى من تهمة الشروع فى القتل التى كانت توجه اليك فتجر عليك ذيول الوبال .

﴿ الفصل الثامن ﴾

عاد مراد بك الى منزله وجلس غارقاً فى بحار الوحدة والتأملات تتقاذفه تيارات من الخواطر والأفكار ولكنه عول أخيراً أن يهدأ بالا حتى يأتيه بالأخبار من لم يزود. وبينما هو يفكر فى أمر ابنته واذا بها جاءت تزوره وتبشره بتعافى زوجها والتئام جرحه تمام الالتئام. فأظهر سروراً بذلك وسألها عن حاله معها فقالت خيراً وطمنت والدها عليه. ولكنه عاد فقال: اخشى يا ابنتى أن يكون البك من طلاب المال الذين يتخذون الزواج ذريعة لاقتناص الأصفر الوضاح يبددونه بين الأقداح والقداح. فأجابت: قد يصح حذرك وتخمينك يا ابت ولكنى لاأزال استبعد كل البعد أن يكون البك من أولئك الطلاب.

- حقق الله هذه الآمال. ومتعكما بحياة طيبة تعيشان فى ظلالها فى راحة وهناء. والآن تفضلى بالعودة الى منزلك العامر حتى لاتطول غيبتك على البك. (قال ذلك وهم يودعها فقبلت يده وخرجت)

ثم تشأ ابنة مراد بك أن تجارى والدها فى سوء ظنه ببرهان بك وان كان رأسها لايخلو من شىء يتعلق بذلك . لأنها رأت من الحكمة أن يرشق الفسق بخيوط الوئام . قبل أن يتسع على الراقع فتقوم الشحناء بين الطرفين بدلا من الولاء والسلام ، والذى زاد هذا الرأى رسوخاً فى ذهنها أنها لاحظت ميلا وانعطافا من زوجها برهان بك ورأت منه اهتماماً بأمرها استجلب رضاها عنه وجذب قلبها اليه . وقد قيل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدى المساويا

قلت ان امرأة برهان بك خرجت وقد رأت أنها بتهدئتها لخاطر أبيها قد فعلت صواباً . ونقول أن اباها خرج على اثرها إلى إدارة الدائرة للنظر فى بعض شؤون ضرورية وفيما هو داخل من الباب العمومى لمح برهان بك إلى جنب حامد افندى يتحادثان . فقصدهما وبادر برهان بك بالكلام بعد ما القى عليهما التحية والسلام :

ـ لم اكن انتظر لقاءك هنا يابرهان بك

ـ لقد بعثت لسعادتك بنبأ شفائى . والآن جئت وفاء بما وعدت به للاشتراك معك بالنظر فى أشغال الدائرة

ـ حسن جدا يابرهان بك تفضل الآن بالدخول .

قال ذلك وأخذ يرمعه بالعمال . ويشرح له أعمالهم واختصاصات كل منهم . فكان برهان بك يصغى إلى شروحات نسيبه بمزيد الأنتباه . مستفهما عن كل شىء مستوضحاً منه كل ما اغمض عليه من الأمور . وقد استغرقت هذه الزيارة ساعة كاملة استأذن بعدها البك بالأنصراف التماساً للراحة فأذن له واشترط عليه أن يعود ثانية لأستكمال بعض المعلومات .

خرج برهان بك فعادت لمراد بك هواجسه تنساب بين جدران مخيلته ردا وغدوا . اخذ أولا ينظر إلى هذه الزيارة بعين الحذر والريب . وخاف أن لايكون لتلك الزيارة غير معنى الاتفاق مع حامد افندى على شىء دبراه بشأن تلك الحادثة التى اثارها عيار الخادم حسين . ولكنه عاد ينظر الى هذه الخواطر بعين الأستخفاف حينما رأى ان زيارة البك قد تكررت وتتالت وان البك اخذ ينظر

فيما كان يقع تحت بصره من الأعمال حق النظر . وقد بلغ الاهتمام حدا بعيدا اصبح معه يصرف فى العمل الساعات الطوال فصار مراد بك يثق به كل الوثوق وزاده ارتياحا اليه ما لمحه من حب ابنته له لما بدأت تقرأ فى محياه من امارات الأخلاص . وقد خوله مراد بك سلطة واسعة واتخذه نصيرا معينا . وشغل بذلك المكانة التى كان يشغلها حامد افندى الوكيل العام . على ان هذا لم يكن ينظر لترقى برهان بك بعين الحسد والبغضاء لأن برهان بك كان من اصدق اصدقاء حامد افندى . وقد بقى مخلصا له طول حياته ولا غرابة فصداقة التلمذة من أولى الصداقات متانة ورسوخا وهى صداقة السفر الطويل فأنها متينة الدعائم يرعاها الانسان بالعين التى لا تنام . ولا شك فالتلامذة فى المدرسة والمسافرون على متون الغربة ليسوا الا خليطا من الناس يجمعهم غرض واحد وتربطهم ببعض صلة واحدة وينتهون الى وجهة واحدة . تبعثرهم بعدها يد الصروف والاقدار . وتبقى تلك الصداقة كامنة حتى تثيرها المشاهدة والأختلاط وهذا الأخير يخلقها من العدم ويجعل لها شأنا واى شأن والخلاصة

ان حامد افندى سر من السلطة التى آلت إلى برهان بك وبدأ هذا يعول على صديقه حامد افندى فى كل شىء .

كان برهان بك يمضى معظم نهاره جلوسا بين يدى مراد بك مستفهما ومستفسرا ومشتركا فى الرأى والتدبير وكان جلوس الاثنين فى غرفة خاصة أنشأها مراد بك الى جنب الغرفة الواسعة التى يشغلها العمال. لا يفصل الاثنين غير حاجز من الزجاج الشفاف يشهد من ورائه مراد بك حركة العمال وبذلك يوفر عليه عناء الانتقال .

على أن مراد بك بقى كثير الابتهاج بما كان يراه من اهتمام صهره بأشغال الدائرة ولذلك أنشأ له جنب غرفته غرفة خاصة للعمل

وبذلك يأتى الدور الذى يصبح فيه البك « برهان » أهلا للنظر فى أشغال الدائرة بنفسه حالا بذلك محل صهره . الذى بدأ يشعر بحاجة كبرى الى الراحة من عناء الاشغال . وقد فعل مراد بك حسناً بترك برهان بك يتمرن حتى يخبر بنفسه حركة العمل قبل استلامه لأدارة الدائرة لانه ليس من الحكمة أن يتولى الانسان عملا لم يختبره قط . ولم يحط

بفروعه وأصوله علما . فان من الحقائق الثابتة أن من يتولى تجارة أو يرأس عملا لم يكن خبره تمام الاختبار تولاه الفشل والاخفاق مهما كانت حال الذين وكل اليهم النظر والاهتمام. فالكاتب لا يصح لان يتولى عملا تجاريا لم يمارسه ولم يخبر دقائقه وأسراره . وتاجر الحديد لا يصلح لان يكون تاجراً فى الدقيق ان لم يكن محيطاً بأسرار هذه الصناعة عارفا بمخبآتها وكم من أصحاب الأموال من لحقتهم الخسارة الفادحة من جرار اندفاعهم وراء تجارة من التجارات التى يجهلون دخائلها

قلنا ان برهان بك كان يصرف معظم أوقاته مع مراد بك جنباً الى جنب فى غرفته يشهد سير الاعمال . وكان من عادة مراد بك أن ينظر عند نهاية اليوم فى مصروفاته وايرادات الدائرة . وتصادف مرة ان برهان بك بقى حتى الساعة التى تسلم فيها إيرادات الدائرة . وكان ثانى يوم فى الشهر فرأى الصراف العام وقد دخل الغرفة يسلم سيده بضع عشر عاموداً من الذهب الوضاح ومثلها من الفضة وعدداً من البنكنوت. فكان هذا يعدها ويراجعها على أوراق الحساب ثم يمضى تلك الاوراق بالاستلام . فلما انتهى الصراف من عملية التسليم

خرج وأخذ مراد بك على أثر خروجه يضع تلك النقود والاوراق فى خزانة كبيرة كانت فى إحدى جوانب الغرفة كل ذلك جرى بمشهد من البك الذى كان ينظر الى ذلك النضار وهو يتدفق نظر المشغوف المشتاق بل نظر الجشع والأنانية .

فرغ صاحبنا من وضع النقود فى خزانته ثم أخذ بأغلاقها فأغلقها وتحول نحو تقويم معلق على حائط الغرفة وكتب بالقلم الرصاص كلمة على ظهره ثم جلس . اما قفل تلك الخزانة فهو عبارة عن دائر اسطوانية تدور حول عامود ثابت . وعلى الدوائر الظاهرة حروف تتجمع منها كلمة يفتح به القفل . وتلك الكلمة كانت تتغير كل ليلة بحسب المراد وكان مراد بك يكتبها خلف التقويم لئلا ينساها .

ولم يفرغ مراد بك من كتابة تلك الكلمة حتى عاد الى مقعده ونظر الى نسيبه قائلا : إنى أسلمك هذين المفتاحين. أولهما مفتاح الغرفة التى أنشأتها مخصصة بك . والثانى مفتاح غرفتى هذه . ويجب أن تتأكد من ان هذه الاخيرة أصبحت لك أيضاً تتصرف فيها كيف تشاء فانه لم يعد هناك بينى

وبينك فارق . والآن اسمح لى أن أطلعك من دفاتر الحساب على حركة الايرادات والمصروفات حتى تقف بنفسك على كل دقيقة وكبيرة . فكان برهان بك يصغى لصهره تمام الاصغاء ويظهر شيئا كثيراً من الاهتمام حتى لم يبعد عند مراد بك شك فى أمانة برهان بك . لان هذا كان من أولئك الذين لا يستطيع الانسان أن يرى فى وجوههم أثراً لما انطوت عليه صدورهم من الاسرار . وكثير من الناس من تغره الظواهر والمظاهر فلا يستخلص من الاقوال والافعال ولا يستنتج من الحركات والسكنات شيئاً عن السر الذى تهيم به النفس والغرض الذى ترمى اليه . كان برهان بك غاية فى الظرف وحسن البزة وطلاقة الوجه وعذوبة المنطق . وكان ماهراً فى اخفاء اميال وآماله بين حنايا ضلوعه فلا يفلت منها من الحركات والاقوال ما ينم عليها أبداً . ولذلك فانه لما بدأ يتعثر فى ذيول الاملاق فى وقت أخذت تضيق عليه الخناق أصحاب الحقوق عليه . عمد الى امرأته فاستجلب رضاها وجذب فؤادها اليه من الناصية . ومال صوب نسيبه ففعل به مثل ذلك تهيئة لما ينويه من المقاصد والأغراض

فرغ مراد بك من إلقاء التفهيمات والتوضيحات التى خالها ضرورية لبرهان ثم استأذن هذا بالانصراف فانصرف فائزاً بالثقة الكبيرة التى وضعها نسيبه فيه . أما برهان فانه فى الحقيقة لم يتزوج بابنة مراد بك إلا طامعاً فى بضع عشر جنيه تؤول اليها شهرياً من وقف أمها . فيدبر بها شؤونه ويصلح من أموره ما أمكن الاصلاح الى أن تأتى الفرصة المنتظرة فترث امرأته من أبيها أمواله الطائلة لأنها الوارثة الوحيدة من بعده . ومن خرقه وخطله انه بنى كل آماله على هذا الاساس فانه استدان من كل انسان ونسى أن قرشاً واحداً فى الجيب خير من آلاف فى الغيب على ان كثيراً من الناس من يرتكب مثل هذا الغلط الفاحش فتراه يبسط يده كل البسط ثم يقعد بعدئذ على قتاد المتربة ملوماً مدحوراً .

وهكذا فان كل هذه الآمال التى بنى عليها صاحبنا القصور والعلالى بدأت تنهار فى يوم تزاحمت عليه آجال الديون وكان خالى الجيب مما يلهى به الدائنين الى أن تسعفه الاقدار بالساعة التى ينتظرها . ولم تنهار تلك القصور والعلالى ولم تسقط تلك الآمال والأمانى حتى أحس برهان بك بأنه قد

أصبح على شفا جرف هار وانه سيلحقه العار والشنار . فاحتار في أمره وأخذت تلعب بأفكاره هواجس الاضطراب ورأى شدة حاجته لشيء من المال يسدد به الفوهة التي انفتحت أمامه وتكاد تجتذبه الى قرارها العميق فخطر بباله عمه سلطان بك ولكنه رأى ان ليس في مكنته أن يطلب منه شيئاً ما لانه سدد له كثيراً من ديونه . فليس من الذوق ولا من الادب . ان يعاود الطلب . والذي زاد طين هذه المشكلة بلة انه بينما كان يفكر في تسوية تلك الديون واذا بكتاب جاءه هذا نصه :

« سيدي البك

« بعد السلام . جئت بهذا لأذكرك بما اتفقنا عليه »
« بشأن المنديل الذي ان قبلت أن ابيعك اياه بالألف ريال . »
« فان الأجل المضروب لتسديد الثمانمئة ريال الباقية قد حل »
« وهذا أوان الاستحقاق والسلام » الأمضاء

عامر

لم يفرغ حضرة البك الموقر من تلاوة هذا الكتاب حتى قرع يداً بيد قائلا : لقد تزاحمت على المصائب بالمناكب

وليس يكفيني الآن الا القدر الجسيم من الأصفر الرنان .
فما العمل ؟ وما الحيلة فى حل هذا الأشكال . لقد اختلفت أمانى كل الأختلاف . انى اذا اهملت أمر هـذا الصعلوك عرضت نفسى للهوان . وكشفت سر المسئلة للعيان وفى ذلك الطامة الكبرى .

وهكذا أخذ صاحبنا يناجى أفكاره وقد استحوز عليه القلق والأضطراب . وبينا هو على هذه الحال تسبح به هواجسه فى فضاء الخيال . واذا ببارقة أمل لاحت له من خلال هذا السواد الحالك فملأت فؤاده بهجة وبشراً . فنشط من عقال الحيرة . مدحرجا عن كاهله ثقل تلك الأفكار . تذكر تلك الصفوف صفوف الأصفر الوضاح التى كانت تسيل بين يدى مراد بك وكان يضعها فى خزانته . خطر بباله أن يقصدها فيأخذ منها بعض الشىء يسدد به شيئاً من الديون التى احاط به لهبها من كل جانب وأصبحت مطار الشرار ومثار النار إلى ان تأتى الفرصة المنتظرة فتتحول بعد الضرام إلى برد وسلام .

لم ير فرصة يخرج منها إلى باحة الراحة وبحبوحة الهناء

غير اخراج تلك الفكرة من حيز القول الى حيز العمل قائلا. ان الفا وخمسمئة ريال لاتضر مراد بك فى شىء . ولكنها تزحزح عن شمس مستقبلى غيوم النحوس . فتحيي موات الأمل وتعيد لى اسباب الراحة والانبساط . فضلا عن انه سيستبعد كل البعد ان يتهم مثلى بالاختلاس وبذلك يبقى اسم السارق سراً مكتوماً وأمراً مجهولا . على انى بهذه السرقة إنما اصلح من أمورى ما امكن الاصلاح فابقى بذلك محفوظ الشرف عالى الهامة اتفيأ مع زوجتى نعيما وارف الظلال . تبقى حياة كلينا حالية خالية من شوائب الآلام والأكدار اما إذا انفضح امرى فهناك الطامة الكبرى التى تجر على ذيول الوبال .

هب برهان بك من مكانه وقد رأى فى السرقة التى عول عليها سفينة نجاته واولى حاجاته بالاهتمام . فقصد غرفة فى ادارة الدائرة ودخلها واستمر يشتغل بين الدفاتر والمحابر حتى خيم الظلام على جوانب المكان فقام وقد قامت بين ضلوعه حرب العواطف سجالا . فكان الفوز للرذيلة على الفضيلة التى خذلت خذلاناً مبيناً . تحول البك الى غرفة

مراد بك ففتحها بهدو ودخلها قاصداً الخزانة ثم اخذ يعالج فتحها فأعيته الحيل على ان فكرة السوء وقد ملأت فيه كل جارحة وسكنت منه كل جانحة لم تنطفئ شعلتها حينما اخفق سعيا ولم يجد الى فتح الخزانة سبيلا . والغريب انه لما عول على فتح الخزانة لم يخطر فى باله ان يتهد اسباب الفتح قبل الشروع فى العمل . وبينما هو يفكر فى الطريقة التى يصل بها إلى غرضه تذكر أنه رأى مراد بك عند ما أغلق الخزانة فى ظهر اليوم تناول قلماً رصاصاً وكتب به خلف التقويم كلمة فظن صاحبنا أنه المفتاح الحرفى للقفل ولذلك أسرع إلى التقويم وقرأ فيه « الليلة » فطار لبه فرحا . وأخذ يركب من حروف القفل تلك الكلمة فانفتحت الخزانة وظهرت أمام عينيه سيول الذهب الوضاح فتناول منها أوراقا مالية بثلثمائة جنيه أى الفاً وخمسمائة ريال طواها فى جيبه ثم أغلق الخزانة كما كانت وعاد إلى عمله وبقى حتى الساعة الحادية عشرة من المساء ثم خرج وفيما هو خارج التقى بحامد افندى وكان هذا قد تأخر فى العمل لينجز شيئاً متأخراً من حسابات الدائرة فرجاه برهان بك أن لا يقول بأنه رآه فى هذه الساعة لانه يكره أن يعرف

نسيبه تأخيره فى العمل لهذا الحد . فامتثل حامد افندى لطلب سيده الذى أصبح من ذلك الحين خليفة مراد بك فى السلطة والادارة والعمل . ثم توجها سوية إلى غرفة حامد وهناك جلسا آونة يتكلمان . وبعدئذ انصرف البك .

تظهر فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢١

رواية

الجو المسموم

« كم من مرة أشاعوا ان شرلوك هولمز مات ولم تبق الا ذكراه وكثيراً ما أذاع خصومه نبأ وفاته ولكن هذا البطل الغريب لم يمت فان كل حادث خطير يبعثه حياً ويوجد له الاثر الجليل ولم يظهر لشرلوك هولمز فى أدوار حياته من ضروب المهارة ما كان له فى هذه الرواية المفجعة الغامضة السر حتى استحق من أجلها أن يلقب « أقوى ثم أقوى » أى انه أقدر بوليس سرى فى العالم »

﴿ الفصل التاسع ﴾

لم تطو ساعات انتهار التالى لليلة السرقة حتى أقبلت جيوش الظلام وانبسطت على الارض ترفرف بذيولها وحواشيها ثم قامت على أثرها ضجة هائلة بين مستخدمى الدائرة وكانوا إلى هذه الساعة ينتظرون مراد بك لأمر يتعلق بشؤون الاشغال وبيان ذلك أن مراد بك لما دخل غرفته وفتح الخزانة لقى ما فيها ينقص الفاً وخمسمائة ريال . فلم يتأكد من ذلك حتى أصدر أمره بتوقيف كل العمال ومنعهم عن الخروج حتى ينظر فى الامر ويبحث عن السارق . وعلا على أثر ذلك ضجة وضوضاء اختلطت فيهما اصوات التذمر والاندهاش . وانتظر الجميع قدوم النيابة للتحقيق لان مراد بك بعث بلاغاً بالحادثة مضت على انتظار المحقق فترة أخذت فيها الاراجيف تفرخ وتبيض فى الافواه وتطير من الشفاه إلى أن اقبل وكيل النيابة للقيام بأمر التحقيق فقص عليه مراد بك قائلا : ان امر السرقة يا سيدى غريب . فان المسروق الف وخمسمائة ريال أى

ثلاثين ورقة من أوراق البنكنوت من فئة العشرة جنيهات مع أن الخزانة تضم بين جدرانها خمسمائة من البنكنوت . وخمسمائة أخرى من الذهب . والاغرب أنى عند مادخلت الغرفة وفتحت الخزانة لم أر أثراً لكسر أو قسر . والذى فوق هذا وذاك غرابة ان الخزانة لاتفتح إلا إذا عرفت الكلمة التى تتركب منها حروف الفتح وهذه الكلمة تتغير عندنا كل ليلة ولا يعرفها غيرى أحد . قال مراد بك كل ذلك وأمارات الدهشة بادية فى محياه ولكن وكيل النيابة لم يدهشه من الامر شىء . وبدأ يحقق بتمام التؤدة والسكون فاستجوب العمال واحدا واحداً . ومن ضمنهم استجوب الخفير فلم ير فى كل كلامه غير كلمة واحدة رآها حرية بالاهتمام وبيان ذلك ان وكيل النيابة لما سأله هل رأيت شيئا غير اعتيادى يوجب الاشتباه اجابه هذا « رأيت عند منتصف الليل شبحين فى غرفة حامد افندى . وكان هذا يشتغل فى تلك الساعة

— ومن هو حامد افندى ؟

— هو ناظر اشغال الدائرة .

— واين مكان غرفته ؟

— فى جناح العمارة الشمالى

المحقق وقد وجه بسؤاله إلى مراد بك : هل هناك باب يوصل للطرقة التى تنتهى إلى غرفتك ؟

— نعم

— وهل ممكن للداخل من ذلك الباب ان ينتهى إلى غرفتك من غير ان يمر بالحوش ؟

— بلا شك

— وهل مع حامد افندى مفتاح لغرفتك ؟

— اخرج حامد افندى من الوسط . فانه لا وجه الاشتباه فيه مطلقا .

ولأزيدك بيانا اقول لك : إن حامد افندى هو رجل صادق امين خدمنى بالاخلاص عشرات من السنين . والمهم ان ننظر سوية فى امر الخدم

— ولكن هذا يا سيدى البك لا يمنع من استيفاء الاصول التى يستلزمها التحقيق من حيث هو تحقيق . ومن الواجب ان نستجوب كل انسان فى هذا المكان ولذا ارجو ان يحضر حامد افندى .

لم يشأ مراد بك ان يعاكس إرادة المحقق ولذلك بعث يطلب حامد افندى

— المحقق يسأل مراد بك : هل لغرفتك اكثر من مفتاح ؟

ـ لها مفتاحان .

ـ واين المفتاح الثانى ؟

ـ مع نسيبى برهان بك

ـ الم يفقد منه ذلك المفتاح ؟

ـ لم يفقد منه لانى رأيته فى عصر اليوم بين يديه .

ـ وهل برهان بك هنا ؟

ـ لا يا سيدى . لقد اخبرنى البارحة بأنه ذاهب للتجول فى الارياف لبعض شؤون خصوصية . وانه ربما تأخر بضعة ايام .

ـ ليته كان حاضرا حتى كنا نستخلص من استجوابه شيئاً نستوضح به بقية نقط التحقيق .

عندئذ دخل حامد افندى مسلماً . فرد عليه السلام وبادره وكيل النيابة قائلا بكل تلطف واحترام :

ـ لقد بعثت بطلبك يا حامد افندى لانى اظنك قادرا على إعطاء القضاء بعض توضيحات ضروريه نستعين بها على إظهار السارق .

ـ امركم ياسيدى .

ـ اصحيح انك قضيت الليلة الفائتة فى غرفة عملك ؟

ـ نعم ياسيدى لانى كنت مشغولا جدا .

ـ الم تلاحظ شيئا غير اعتيادى ؟

ـ لا يا سيدى .

ـ الم تسمع شيئا يوجب الاشتباه ؟

ـ لم اسمع شيئا قط

ـ الم يزرك البارحة فى أثناء عملك احد من اصدقائك او من غيرهم ؟

حامد افندى مستفهما باستغراب ـ احد . ؟

ـ المقصود من هذا السؤال هو معرفة ما إذا كان احد وجد معك بين الساعة العاشرة والثانية عشرة مساء . لانه لوحظ وجود شخصين فى غرفتك فى هذا الميعاد . فمن هو هذا الانسان يا ترى ؟

وقع هذا السؤال فى اذن حامد افندى وقوع الصاعقة ولكنه لم يجسر ان ينبس بحرف وخاف ان يقول بأن ذلك الشبح هو برهان بك . لانه بذلك إنما يلقى التهمة على عاتقه ويخشى إذا لم تثبت عليه ان يتعرض لسخط مراد بك واضطهاد برهان بك الذى اصبح صاحب الكلمة النافذة ولذلك فانه لبث لحظة تتنازعه تيارات الافكار ولكنه عقد النية أخيراً على أن يلزم جانب السكوت .

المحقق — أراك سكت ولم تتكلم .

— لأنى لم ار احدا البتة

مراد بك مستغرباً مذعوراً — كيف ذلك . ياحامد افندى . أنهم شهدوك مع انسان .

— كذب وبهتان .

المحقق وقد حملق بعينيه — اعلم ياهذا بأنك بهذا الأنكار إنما تحمل نفسك مسؤولية عظمى لاقبل لك بها . إنك بذلك تترك التهمة باسطة جناحيها عليك . بل تدعنا نعتقد بأنك شريك السارق ان لم تكن أنت السارق نفسه ؟

حامد افندى — أنا ؟

مراد بك وقد تداخل ليحمله على الكلام — قل ياحامد افندى — تكلم . لاتخش بأساً . ان سكوتك هذا يلحق بك ضرراً بليغاً بل يعرض شرفك للهوان

— ليس عندى ما اجاوب به اكثر مما تقدم من الكلام .

— مراد بك مخاطباً حامد افندى — دع هذا العناد . ما الذى يمنعك عن الكلام . ما الذى يمنعك عن نفض غبار هذه التهمة عن كتفيك ؟

— ألم تصدق ياسيدى البك انى قلت الصدق ؟

المحقق وقد صعد الدم فى وجهه — على الخفير .

المحقق موجهاً كلامه للخفير — الم تقل أنك رأيت شبحين فى غرفة حامد افندى ؟

— نعم ياسيدى . وذلك انى حوالى الساعة الحادية عشرة رأيت شبحين أحدهما جالساً والآخر واقفا بين يديه وفى الساعة الثانية عشرة عند مادرت الدورة الثانية لاحظت أن غرفة حامد افندى لاتزال مضاءة ولكن لم يكن فيها غيره أحد .

— إذن فالسرقة وقعت بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة .

الخفير (بعد ماسكت قليلا) : — لاحظت فوق ذلك انى بينما كنت ماراً من الطرقة الكبرى رأيت باب الحديقة الصغير فتح ثم أغلق

المحقق ـ الم تلاحظ شيئا آخر ؟

ـ لا ياسيدى .

ـ الآن يمكنك الانصراف .

المحقق (موجها كلامه إلى حامد افندى بعد ماخرج الخفير) لقد سمعت أقوال الخفير . ولا شك أنها أقوال ليس فيها من صبغة التلفيق شيء . ولا ريب عندى الآن فى أن السارق خرج من باب الحديقة الصغير .

ـ لم يخرج احد من هذا الباب لأن مفتاحه عندى .

ـ هذه حجة عليك . فان وجود المفتاح عندك مما يدعنا نظنك اخرجت السارق منه . قاصدا بعدم اخراجه من الباب العمومى أن تستره عن عين الخفير .

حاول حامد افندى أن يدافع عن نفسه فخانه النطق

وتخاذلت ركبتاه

المحقق ـ ما الذى عندك من الأقوال ؟ انى مستعد لسماعها بحذافيرها

عندئذ حانت عن حامد افندى التفاتة الى النافذة فلمح إمرأة برهان بك قادمة وكانت ممتقعة اللون . رآها متجهة إلى منزل مراد بك وكانت مسرعة على عجل .

المحقق وقد طال انتظاره للكلام ـ اليس عندك شىء تقوله ؟

حامد افندى ـ لاشىء البتة ياسيدى .

مراد بك — لاشبهة الآن فى أنك السارق أو شريكه فى الجناية

ـ حامد افندى وقد شخص بعينين يتطاير منهما شرر الغضب : أتظن ذلك ياسيدى البك ؟ ألم اخدمك السنين الطوال بالصدق والاخلاص ، قال هذا وسقط على كرسى هناك استلقى فيه كمن لايعى على شىء .

المحقق — ملتفتا لمعاون البوليس وأعوانه : القوا القبض عليه

﴿ الفصل العاشر ﴾

انصرف المحقق ومعاون البوليس بعد ما ألقوا القبض على حامد افندى . أما مراد بك فانه عاد الى بيته فوجد ابنته تنتظره هناك فبادرته هذه بالاستفهام عن أمر السرقة التى طار اليها نبأها .

— دعينى يا ابنتى فانى أصبحت لا أفهم لهـذا المعمى معنى ما . فالغريب المدهش من هذه المسئلة ان الذى سرقنا هو حامد افندى ناظر أشغال الدائرة

— حامد افندى هو السارق ؟ . هذا مستحيل .....

عندئذ أخذ مراد بك يشرح لابنتـه وقائع الدعوى ويعيد على مسمعها نص الأسئلة والأجوبة التى دارت بين المحقق وحامد افندى والخفير وبقية المستخدمين

شرح لها كل ذلك ثم رجاها أن تأذن له بملازمة غرفته التماساً للراحة . ففعلت وخرجت ذاهبة الى بيتها . وأما مراد بك فانه لم يجد للرقاد سبيلا بل أمضى ليلته تنتابه الهواجس

ويتقاذفه القلق وتلعب بأفكاره الخيالات . والذى زاده بلاء على بلاء أن يسرقه الرجل الذى وضع ثقته فيه وفوض اليه كل شؤون أشغاله بحذافيرها . . على انه لم يشأ يطوى المسئلة على غيرها ولكنه أخذ طول ليلته ينقب فى طياتها ويستوضح مغمضها متنقلا من النقط النائئة فيها الى النقط التى تتوارى تحت سجف الابهام . فلم يصل فى النهاية الى شىء غير الموافقة على أن حامد افندى هو السارق بعينه وإلا لما تأخر عن سرد وجوه تبرئته على مسمع القضاء .

أشرقت شمس الصباح ومتع الضحى وصاحبنا يتقلب فى فراشه على جمر الغضا قام يخطر فى الغرفة على غير هدى وفيما هو بين هذا الرواح والغدو وإذا بخادمه يستأذنه فى دخول المسيو برينير صاحبه القديم فأذن له ودخل

— أهلا وسهلا بالمسيو برينير ما الذى جاءبك فى هذه الساعة يا ترى ؟

— لقد أدهشنى يا سيدى أمر السرقة التى أصبحت مضغة فى الأفواه . ولماظة بين الألسنة والشفاه . على أنى لا أزال أستبعد كل البعد أن يكون حامد افندى سارق

سيده البك .

والمهم من زيارتى هـذه انى كنت عازما على السفر للاسكندرية لبعض مهام خصوصية وقد أجلت السفر وجئت لأزودك ببعض معلومات وصلت إلى عن لسان خفير المنزل الذى أسكنه . وصفوة ما قاله لى انه لمح نسيبك برهان بك خارجا من محل الدائرة عند منتصف ليلة السرقة

— أمر غريب . إذن فبرهان بك شريك لحامد افندى فى الجناية لأن خفير الدائرة أقر بأنه رأى فى تلك الليلة شبحين فى غرفة حامد افندى وانه عند ما دار دورته الثانية عند منتصف الليل لم يجد غير شبح واحد وهو حامد .

ـ ربما صح ذلك . وعلى أى حال فاتنى أوصيت خفيرنا بأن لا يتكلم بشىء فى هذا الموضوع

— حسناً فعلت .

— الآن يسمح لى سيدى البك بالانصراف

— تفضل يا سيدى الصديق . وانى أشكرك لانك حملت الينا قبساً من النور نستعين به على كشف ما توارى عن عيوننا إلى الآن .

خرج المسيو برينير وبقى مراد بك وقد لاحت فى وجهه أمارات الانفعال والاندهاش . وفى الحال قام قاصداً محل عمله واخذ ينظر فى اشغال الدائرة كالمعتاد . وفيما هو على هذا الحال وإذا بابنته بعثت تستدعيه وكانت قد جاءت إلى بيت ابيها فلم تجده . فذهب اليها وهاله ما لمحه فى عينيها من علائم الذهول فبادرها بالسؤال :

— ما وراءك يا وحيدة ؟

— ليس ورائى إلا كل الخير يا والدى العزيز على انى اذكر يا أبت ان من عادتك رصد نمر البنكنوت الذى يدخل الى خزانتك فهل بين النمر المرصودة هاتان النمرتان . قالت ذلك ثم ناولته ورقتين من البنكنوت

— ومن أين لك هاتان الورقتان ؟

— نسيهما برهان بك على منضدة فى غرفة الاستقبال

— كيف ذلك . وهل السيدة وحيدة بدأت تشك فى طهارة ذيل برهان بك ؟

قال ذلك واخذ ينتظر كلام ابنته فلم تحر هذه جوابا فعاودها السؤال بلهفة المرتاب فقالت :

— شككت فيها من ليلة الزفاف وحادثها الذى تلاه ولكنى لبثت اغالط نفسى مرات متواليات حتى لم يعد الآن سبيل لاستمرار هذه المغالطات .

عندئذ فهم ابوها غرضها من هذه الاجابة الناشفة ثم أخذ يتلهى بتقليب صحائف دفتر صغير فى جيبه ليرى هل صدقت ابنته فى سوء ظنها أم لم تصدق وهل لما بلغه على لسان المسيو برينير من ان خادمه رأى برهان بك خارجاً ليلة السرقة عند منتصف الليل علاقة بأمر السرقة فلم تمض لحظة حتى خفق قلب صاحبنا جزعا وارتعد فزعاً وهبت فى وجهه علائم البغتة والاندهال . وذلك لانه رأى النمرتين اللتين ناولتهما له ابنته مقيدتين فى ضمن الاوراق المسروقة فصاح بابنته مندهشا مستغربا :

نعم سرقنى برهان .. نعم سرقنا برهان الخائن

عندئذ ابتسمت وحيدة ابتسامة صفراء ثم قالت لقد توجست هذا الشر لاننى لمحت اخيراً من احوال ذلك الجبان ما يشعر بان الرجل طالب مال من أى الطرق جاء . .

— وما العمل الآن ؟

— الطلاق ؟

— هو الفضيحة والعار .

— هو كذلك اذا اتخذالعوبة يلعب بها الازواج لمجرد الاهواء ولكن الطلاق فى مثل هذه الاحوال خير ذريعة للتخلص من زوج السوء .

ـ ولكن هل كنت تحبين ذلك الجبان ؟

ـ كنت وطدت النفس على حبه لأنه الرجل الذى اختاره لى أبى بعلاولكن ذلك الحادث وهذه الحادثة الأخيرة قد عكرا صفو هذا الحب ولم يتركا فى كأس الصفاء غير عكارة من الأكدار

ـ إذن يا ابنتى « وان كنت ابغض الناس الى الطلاق» فالطلاق الآن خير ما تحل به هذه العقدة ذات الأذناب . وها أنا الآن ذاهب لأخرج حامد افندى من غيابة السجن وسأقول انى عرفت السارق وانى استوليت على الألف ريال وانى شفقة بعائلته ورأفة بأولاده وعدت بان لا انم عليه . على انى لا افهم لتوقف حامد افندى عن الكلام امام النيابة معنى غير معنى الاشتراك . وهذا هو ماينقبض

له صدرى . وعلى كل حال . هلم بنا يا ابنتى لنرى برهان .

ـ إنى لا احب أن اراه والواجب والحالة هـذه أن أن أبقى هنا الى الأبد بلا زيادة ولا نقصان

ـ لا بأس . وها أنا ذاهب الآن لمقابلة برهان فأتكلم معه فى هذا الموضوع .

وصل مرادبك إلى منزل نسيبه فوجده جالساً فى غرفته يكتب كتابا . فلما لمحه هذا قام مرحباً . اما صاحبنا . فانه لم يعبأ بهذه الظواهر الكذابة وبادره قائلا :

ـ لقـد اتضح لنا ياهذا بانك كنت فى غرفة حامـد افندى ليلة السرقة . وقد رأوك رأى العين خارجاً من باب الدائرة عند الساعة الأولى بعد منتصف الليل . على أنك لم تقل لى شيئاً لحد الآن أجهلت التهمة التى الصقت بحـامد افندى ؟

— وأى علاقة بين خروجى من الدائرة فى تلك الساعة وبين تلك السرقة المشؤومة قال ذلك وقد أخذ الاضطراب منه كل مأخذ

— إذا كان حامد افندى يعتقد ببراءتك من لوث هذه

التهمة فلماذا لم يجسر على التصريح بانك بقيت فى الدائرة للساعة الواحدة بعد منتصف الليل . بل لماذا لم تقل لى بانك تأخرت تلك الليلة فتذكر لى أسباب التأخير .. بل لماذا سافرت حالا عقب تلك الليلة بل . . . . .

برهان بك وقد اجتهد أن ينفذ من باب الايهام والتهديد الى باحة التملص من التهمة الفظيعة التى أخذ يدحرجها عن كتفيه قائلا :

ـ لقد بالغت يا هذا فى القول السوء . والظن السيء فجئت بذلك أمراً إداً ولتهمتنى بما لست له أهلا . انك واهم فانظر ما ذا تقول ؟

ـ انا لا اقول شيئا الآن . ولكن أرى هاتين الورقتين تتكلمان بأفصح لسان . قال ذلك وناوله ورقتى البنكنوت . فلم يقع نظره عليهما حتى وجف فؤاده وقف شعر رأسه . ولكنه تجلد وأخذ يتملص ويتخلص فلم يسمع له نسيبه قولا وقطع عليه الكلام قائلا :

ـ هاتان الورقتان قد وجدتا على منضدة حضرة البك الموقر فى غرفة الاستقبال . وهما من الاوراق المسروقة لاتى

وجدت نمرتيهما مرصودتين فى دفتر الخزانة

برهان بك وقد تولته هزة الارتعاد وصرعته قوة الحق الظاهرة وأخذ يقول :

ـ الآن اقول لك سر المسئلة لانه قد آن الأوان والخلاصة انى لما رأيت الديون قد ضيقت علىّ الخناق فى وقت كنت اتعثر فيه بأذيال الاملاق . لم أر أصون لشرف العائلة التى ورثت عنها مجد الآباء والاجداد إلا ان اتناول من خزانتك بضعة جنيهات أصلح بها أمورى ما استطعت الاصلاح . وكان الامل أن أرد اليك فى مستقبل الايام ما اكون تناولته وهذا ما لا أزال عليه حتى الآن .

ـ وكيف تسول لك نفسك سرقة ما يمكنك ان تناله منى بمجرد الطلب البسيط .

ـ لم أشأ ان اطلب حتى لا اضطر لكشف أسرار يهمنى ان تبقى تحت ستار الكتمان .

ـ حاولت فاسكت .. الآن تمثلت لى خيانتك مرتين فى اقبح الاشكال . وفى هذه المرة الاخيرة استلزمت خيانتك ان يدنس البرىء بأوضار الاتهام . أليس حامد افندى ملقى

فى قرارة السجون . فلتعلم بان هذا فراق بينى وبينك . أما ابنتى فلك ان تهيىء اسبابا للطلاق بعد مضى ثلاثة ايام ان كنت تخشى الافتضاح . ولك على ان الزم السكوت . وان اتنازل لك عما سرقت . وبذلك يسلم شرفك الرفيع من الأذى الفظيع

ـ هذا انذار خائس . وقول يائس . وكلام اليائس . فاما رجوع منك عن هذه الخشونة الى الليونة . والا لذت بجانب الانكار . واوقعت ابنتك فى حفرة ليس لها قرار . فهى الآن فى قبضة يدى .

ـ ويل لك يا لعين .

ـ لا تنس انك فى بيتى حتى الآن

ـ قلت لك انى امهلك ثلاث ايام . فان لم تعمل بما اشرت به عليك عرفت الطريق الذى اسلكه وستعرف الهواة التى تحت قدميك

﴿ الفصل الحادى عشر ﴾

توجه مراد بك الى محل إدارة الدائرة واخذ ينظر فى اعماله ويتعهد شؤونه بنفسه وفيما هو غارق فى لجة العمل وإذا بسلطان بك يقرئه السلام ويقول :

ـ لقد جاء بى الى سيدى البك امر ذو بال . قال ذلك واخرج من جيبه لفة من اوراق البنكنوت ثم عاود الكلام قائلا : انى استسمحك يا سيدى البك فانى فى اليوم الذى توسطت فيه بتزويج ابنتك لبرهان بك لم يكن يخطر ببالى ان هذا سيخلع ثوب الطهارة والعفاف فتزين له نفسه الخبيثة سرقة صهره . اما الالف ريال التى سرقها منك فها انا اردها لك اليوم مع الأسف مما حصل .

مراد بك ـ ماذا تقول ؟ انا لا اقبل العوض .

فقطع عليه سلطان بك الكلام قائلا ان هذا المبلغ لم يخرج لك من جيبى وإنما هو من جيب الذى وقع فى يده المبلغ المسروق وبيان ذلك انى رأيت فى الامس « عامر المجذوب »

بدأ يشترى جانباً من الأطيان فى قريته فأخذت أسأله من أين هذه الثروة فلم يقل شيئاً ولكنى لما هددته بالتبليغ عنه كسارق لما سرق منكم . أقر بأن برهان بك اعطاه الف ريال على شرط أن لايقول شيئا عن حادثة مدام برينير . فلما سألته عن تلك الحادثة وما هو هذا الشيء الذى يخشاه برهان . قال بأنه رأى برهان بك ساعة خروجه من منزل مدام برينير على أثر اصابته بالطلقة التى اطلقها الخادم حسين. وانه توعده بأذاعة ذلك ان لم يشتر سكوته بالذهب الوضاح كل ذلك عرفته فتحققت لى جناية برهان على الشرف والضمير . ولهذا وذاك ارجو منك ان تتقبل منى الألف ريال لأنها حق من حقوقك .

- لاحاجة لى بهذا المبلغ كما قلت لك أولا .

- لابد من رد حقك اليك كيف كان الحال .

- إذن فتسمح لى بأن أهبه لجمعية مكارم الاخلاق الاسلامية . لحساب الملجأ الخيرى الذى ستقيمه للقطاء والايتام .

- أمرك ياسيدى البك . وانك صاحب الفضل على

كل حال . على انه لا يسعنى الا شكرك على هذه الاريحية التى جعلتك بهذه الهبة لتلك الجمعية تقوم بوضع حجر فى بناء ستشيده الفضيلة حبا فى بنى الانسان وارجو ان يكثر الله امثالك الذين يجودون ببعض أموالهم فى خير الوجوه التى يقصد بها البر خالصا لوجه الله . قال ذلك وانصرف قاصدا منزل برهان بك وهناك قيل له بانه ذهب للقاء مراد بك

مضت ساعة على مراد بك لبث فى أثنائها يفكر فى خير وجوه الفصل فى هذا الاشكال تخليصا لابنته من يد برهان الجبان فلم ير احسن من الطلاق حلا مرضيا لتلك العقدة الملتوية كل الالتواء . وبينما هو بهم بالقيام قاصدا برهان ليفاتحه فى الامر واذا ببرهان يقرع الباب . ففتح له ودخل هذا يقرأ مراد بك السلام

فلم يقع نظر صاحبنا على برهان حتى بادره قائلا :

لا سلام ولا كلام ويجب ان تنفصل ابنتى نهائيا . لانها تأنف البقاء مع رجل لم يصن شرفه عن الاوضار ولم يعرف كيف الاحتفاظ بمجد الآباء .

ـ الا تزال تذكرنى بأمر انسقت اليه بحكم الاضطرار

الا تنتهى عن هذا العناد ؟ . .

ـ قلت لك . الطلاق .

ـ انا لا اطلق . قال ذلك وصوب مسدسا اخرجه من جيبه . مبالغة منه فى التهديد . وفيما هو مصوب مسدسه واذا بسلطان بك داخل فلما رأى هذا المشهد وقف حائلا بين برهان ومراد بك قائلا للاول : اقتلنى انا لانى السبب فى هذا الزواج التعيس . فلم تقع عين برهان على عمه سلطان بك حتى ارجع المسدس إلى جيبه ثم جلس

عندئذ وجه مراد بك كلامه الى سلطان بك قائلا :

ـ انظر يا عزيزى كيف ان ابن اخيك لم يزد عن الاوباش فى معاملتهم وسلوكهم قدراً ومقاما . والآن بما انك كنت الواسطة فى الزواج فلتكن كذلك فى الطلاق

برهان بك ـ قلت انى لا اطلق .

سلطان بك ـ اتظن هذا الآباء مما يحول دون الطلاق ان الشرع يساعد على الانفصال فى مثل هـذه الاحوال . فالاحسن ان تنفصل بسلام . قال تعالى . وفارقوهن بمعروف

برهان بك ـ اراك تساعد مراد بك .

سلطان بك - هذا لابد منه . لانه من صالحك قبل كل انسان .

برهان بك - اذن فليكن ما تريدون .

انقضى الحديث على هذا النسق . وطلقت على اثره وحيدة هانم من برهان . واثبت هذا الطلاق فى المحكمة الشرعية

الوصمة الحمراء

هى الرواية الاولى التى نفتتح بها السنة الثانية والعشرين من مجلتنا مسامرات الشعب وهى من ابدع ما أخرج للناس نقلها الى العربية فى ثوب قشيب حضرة الكاتب العبقرى طه السباعى

﴿ الفصل الثانى عشر ﴾

ماصدق مرادبك ان تخلص من مصاهرة برهان بالطلاق البات حتى أخذ يفكر فى انقاذ حامد افندى المسكين من السجن فهرول قاصداً مركز النيابة لأبلاغها براءة هذا الوكيل الامين ومحاولة التستر على برهان فقابل النائب وأخبره أنه اكتشف السارق الحقيقى ولكنه رحمة بعائلته ورأفة بأولاده الصغار لا يريد إفشاء إسمه وانما يلتمس اطلاق صراح حامد افندى لما ظهر من براءته فأجابه النائب

ـ هذا محال ياحضرة البك فالنيابة لا يمكنها استعمال هذا الرفق الذى تبديه انت فاما ان يبقى حامد فى السجن حتى يحاكم وإما ان ترشدنا الى المتهم الآخر الذى تقول عنه فمتى اتضح لنا ثبوت التهمة عليه سجناه وأخلينا سبيل حامد فحاول البك ان يحول النائب عن هذا الرأى فلم يفلح واضطر بعد أخذ ورد طويل ان يشرح له الحقيقة بحذافيرها . فلما تجلت أمام عينيه ظاهرة وضاحة مثبتة براءة حامد وادانة برهان اسرع باصدار

الاوامر بألقاء القبض على هذا وبادر بأطلاق سراح ذاك

فخرج حامد وقابله مراد بك فافهمه سر المسئلة ثم رجا منه الرجوع إلى خدمته فرفض حامد بتاتاً ولكن مراد بك اخذ فى تطييب خاطره قائلا :

ـ انك يا حامد افندى سلكت مسلكا وخيماً فانك لو كنت ذكرت لنا ان برهان بك تأخر فى الدائرة الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل وانه اوصاك بأن لا تقول ذلك لاحد لكنت بذلك وضعت المفتاح فى ثقب الباب وكنت وفرت على نفسك هذا العناء والعذاب . وعلينا كل هذا الانشغال . ولكنك تركت التهمة لاصقة بك ولهذا يجب ان تعذرنا بعد الذى جرى : واعلم يا بنى بأنى ادعوك لمعاودة عملك واعدك بحسن المكافأة . على اننى ابتداءاً من اليوم سأفكر فى كل ما يقربك إلى عائلتى كل التقريب

لم يشأ حامد افندى ان يبقى على رفضه ولذلك قبل ما التمسه منه مراد بك لان الكلمة الاخيرة الذى ختم بها هذا كلامه رنت فى صميم قلبه رنين الفرح والانشراح لان مراد بك يشير من طرف خفى إلى امر تزويج ابنته بحامد افندى بعد

تطليقها من برهان وهو جل ما يتمناه حامد افندى لانه يعرف عن ابنة سيده شمائل اغراء وفضائل أخلاق وجمالا يسحر الالباب فكان ذلك كله داعياً لرغبته فى معاودة عمله كما كان تحقيقاً لتلك الامنية التى يبنى عليها مستقبله على دعائم متينة البنيان .

الأضاحيك

كتاب جمع من أفكه الأحاديث وأروع الحكم تقرأه فتضحك ولكنك تأخذ منه العظة الحسنة والدروس الاجتماعية الاخلاقية الجامعة تفنن فى وضعه حضرة الكاتب الفكه القدير عباس حافظ وسيصدر قريبا فنلفت اليه الانظار

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

خرج برهان بك وقد ضاقت الدنيا فى وجهه واظلم بهاء العالم فى عينيه فلم يعد يرى إلا ظلاما فى ظلام وسولت له نفسه ان يقصد عشيقته « مدام برينير » فيعلمها بأنه طلق امراته بتاتاً وان يرضى حبها بديلا فسار اليها ليلا ولم يقترب من حديقة المسيو برينير حتى دخل من بابها واخذ ينسل بين الأشجار متواريا عن الانظار ثم دار من خلف المنزل وكان قائماً فى وسط الحديقة فوجد نافذة غرفة مدام برينير لم تغلق بعد فوثب منها داخلا وكانت مدام برينير جالسة تستعد للنوم فلما رأته فزعت فرقاً وصاحت به بصوت خافت: ماالذى جاء بك الآن إلى هذا المكان؟

ـ اعلمى يا مدام بأنى قد طلقت امرأتى ثلاثاً فلم يبق لى إلا ان ترقى وتعطفى فتنفرسوية عن هذه الديار . فان لم تفعلى قتلت نفسى تحت قدميك ورحت شهيد قساوة قلبك إنك يا هذا تطلب المحال) قالت ذلك وإذا بالمسيو

برينير يفتح الباب) فلم تقع عينه على برهان بك حتى صاح به ما الذى جاء بك إلى هذا المكان يالعين . . .

عندئذ اضطرب برهان ووقعت فى قلبه الحيرة ولكن المسيو برينير اخذ يقول :

- لى الحق فى قتلك الآن . ولكنى اذكر تلك الساعة التى نجوت بها على يديك من الغرق فالآن اخرج من هذا المكان مزوداً باللعنات

خرج برهان بك وقد قامت فى راسه فكرة الانتحار التماساً للخلاص من هذا الضيق المستحكم الحلقات . ولم يخط بضع خطوات بعد بها عن المنزل حتى رأى الشرطة مقبلين عليه بحالة لم تبق عنده شكاً فى ان النيابة اكتشفت امره وامرت بالقبض عليه فاسودت الدنيا فى عينيه ولجأ الى مسدسه فأطلقه على رأسه فسقط يتخبط فى دمه . ولن يجىء الجزاء إلا من جنس العمل . . .

« الخاتمة »

لم تمض ايام على هذا الحادث حتى تزوجت وحيده بحامد افندى على صفاء وسلام . والقارىء يرى من خلال الحوادث التى سردناها فى الفصول الفائتة نتائج كبيرة ادت اليها مقدمات صحيحة يجدر يأبناء وطنى العزيز تدبر معانيها واحتلالها محلها من النظر والاهتمام . فالتيار الجارف الذى انساق فيه برهان بك هو نفس التيار الذى اغرق الكثير من ابناء اغنيائنا فأودى بحياتهم لان اباءهم تركوهم يشبون على دين البطالة والكسل فكانوا بذلك كمن يترك امواله فى مهاب الرياح ومظان الضياع . على انه إذا صح ما قاله شكسبير من انه « لا بد لكل مذهب ورأى من لمعة من نور الحق المبين » لاح للقارىء نور الحقيقة وضاحا جليا فيما ذهب اليه سسل رودس . وان كان مذهبا شديد التطرف فى ذاته لانه القائل « مال الانسان لوجوه البر العام وليس للأبناء ان يرثوا من الآباء اكثر من العلم والتهذيب وكل

وسائل الاعداد للفوز فى معترك الحياة » فالحقيقة التى لامراء فيها من ذلك القول . ان للأبناء حقاً أولياً فى العلم والتهذيب بأوسع معانيه حتى لايكونوا فى شبابهم عالة على الوطن والبلاد . وان بقى بعد ذلك شىء من المال فليكن له المحل الثانى . فلو أن والد برهان بك استنار بنور هذه الحقيقة اللامعة فجهز ابنه لأعتداء منصة الارتقاء بالعلم والأدب والجدارة والأهلية لما ساقه نصيبه هذا إلى ماساقه اليه المال مصحوباً بالجهالة العمياء . ولما راح شهيد هذا الجهل الابوى الذميم . .

والنتيجة الثانية التى يجب أن يستخلصها كل قارىء من القراء هى الأدوار التى تمر بها بعد الزواج كل فتاة لايكبر ابواها أمر الزواج . كل فتاة يقدم ابواها على تزويجها وهما لايعرفان أن على حسن سعيهما تتوقف سعادة انسانين . فلو أن مراد بك نظر إلى أمر تزويج ابنته بالعين التى تنظر بها كل فتاة الى زواجها . فتناول المسئلة بكل أدوارها ناظراً اليها بعين الاهتمام لما ساق ابنته هذا المساق . ولما وقعت ابنته بين فكى الضيق أياماً كادت تروح فيها شهيدة الجهل

الأبوى الذميم .

والنتيجة الثالثة التى نوجه اليها الفات كل انسان وكل والد على الخصوص هى ما يسوق اليه الطمع فى المال والجاه من تحليل تزويج الفتاة بالرجل الكهل العجوز . فان عملا كهذا لا يرضاه الله ويمقته الناس اجمعون لأنه يؤدى بلاشك إلى مثل ما ادى اليه تزويج اميلين بالمسيو برينير . والسلام

تمت رواية مظالم الآباء

حيرة القضاء

رواية تاريخية اجتماعية قضائية

بلغ سيمون فلوران دى رينكور سنة ١٦٧٨ الثالثة والعشرين من عمره وكان سيء السلوك فى نزق من شبابه حار أبوه تقويم اعوجاجه وقد كان هذا الرجل نزيهاً شريفاً مصححاً فى غرفة الحسابات بباريس وزوجا مخلصاً وفياً وزوجه تدعى مارى لويس بارمنتيد ابنة أحد الرجال المعروفين فى البرلمان وقد رزق منها خمسة أبناء كان سيمون الابن البكر منهم مكسالا شقياً كثير الديون يتغيب عن منزل أهله أسابيع دون أن يعرفوا له مستقراً.

وقد تعرف هذا الشاب على امرأة تدعى ماريان أكبر منه سناً ويطلق عليها بعضهم اسم تروا فاليه والبعض كولانج ولكن اسمها الحقيقى كان باربير

ويقولون عنها انها ابنة تروا فاليه الذى أبهظت كاهله

الديون وزج فى السجن ومات ليلة فى الطريق وهو على حال من الضنك والشقاء

وكانت أمها تدعى مرغريت باربير وهى خادمة تقرض النقود على رهن وتعيش بجميع الوسائل اللهم إلا ما نافى العفة والطهارة وكان لها شقيق يدعى فيليب قتل فى ليلة من شهر مايو سنة ١٦٨٧ وهو يعتدى على أسرة نبيلة فى شارع تورنون

وقد غررت ماريان بدهائها بسيمون حتى حملته على أن يقترن بها وقد تم القران سنة ١٦٨٨ دون أن يكون لوالديه علم به وأرغمته على أن يوقع لها أمام كاتب عقود على عقد يخصها فيه وحدها إذا ما مات بكل ما يرث عن والديه .

ولم يكن هناك شك فى أن أمر هذا القران سينكشف معها تقادم عهده . فلما أن وقف عليه والداه كانت تقع بالمنزل بينه وإياهما حوادث مزعجة مغضبة وقد دعواه غير مرة لأن ينفصل عن هذه الفتاة الساقطة فأبى ثم طرده من المنزل على أن لا يعود اليه فخرج من البيت محسوراً وعاش مع زوجته فى الغرفة التى تقطنها بالفندق وهما يتنقلان كل ثلاثة أشهر الى فندق آخر

وقد قضى ابوه نحبه لما داخل نفسه من حزن ولما كان

مريضاً وعلم بمرضه ولده بعث اليه يستغفره ويطلب منه الاعتراف بقرانه فقبل أبوه الرجاء الأول وأبى عليه الثانى ولم يشأ أن يقابل هذا الابن العاق وذهبت أمه إلى أبيها تاركة له أمر تسوية ميراث زوجها

قسم الميراث فخص كل ولد من الخمسة خمسين الف جنيه ووقعت منازعات شديدة بين سيمون وأخيه الثانى شارل وكانا يتشاتمان حتى ليكادا يأخذان بتلابيب بعضهما

ثم عين شارل فى منصب أبيه وقطع على نفسه عهداً بأن يشترى لأخيه سيمون بمبلغ عشرة آلاف جنيه أسهما مالية واحتفظ له بشىء من مخلفات المتاع تبلغ قيمته ٦٠٠ جنيه وأراد أن يشتريه لنفسه ولكنه لم يدفع له ثمناً فتجدد النزاع والتنافر بينهما وكان سيمون يوقف زوجته على ما يجرى مع أخيه فتولت وإياه الى مسجل آخر وأمضته على عقد آخر يخولها الحق فى جميع ثروته وما يخصه من متاع .

وهنا دخل البيت شخص غريب كان السبب فى تكدير صفاء هذه الأسرة الهادئة فقد تعرفت ماريان على شاب جميل متأنق فظ يدعو نفسه باسم الشفاليه موشى لا يدرى

أحد بعد من أين هو أو كيف يعيش وقد علم عنه انه اندمج جنديا بسيطا فى سلك جنود الحرس ثم طرد من بينهم وأتهم فى باريس بأنه سرق عقدين من اللآلىء وحوكم فى أومال بتورمنديا من جراء سرقة ومحاولة قتل.

وقد قدمته ماريان لزوجها كأنه ابن عم لها لا عمل له ولا مأوى وطلبت منه أن يبقى معهما بمسكنهما فأجابها الى ما ارادت ولم يمض سوى وقت قليل حتى اصبح موشى صاحب الأمر والنهى فعالا لما يريد

فدهش سيمون فى اول الامر ثم احس بما اصابه من مهانة واحتقار فصرح له بأن قد ضاق به وانه يرجوه ان يبرح المسكن فشمخ موشى فى وجهه وعززت ماريان مركزه وجرت بينهم حوادث سيئة ولكن الشمم هاج نفس سيمون فغادر باريس الى قطعة من املاكه ورثها عن أبيه فى «نانتيل سورمارن» بهامنزل فاخر العزلة هناك هو وزوجته منفردين فلم يجد موشى بدا من ان يذهب الى سبيله فسافر الى بيكارديا واستقر الزوجان فى المنزل الجديد الذى كان يختلف اليه ابوه فى بعض الأحايين وقد ترك فيه اعطر الذكر

ولم يكن سيمون يدرى ان زوجته تتبادل وموشى المراسلات الحارة وهذا يدعوها الى ان تهجر زوجها وتجيء للحاق به مؤكداً لها انها وحدها مالكة ثروته وان هذا إذا ما اصيب بمرض عضال فانه يجد السبيل ممهدة للاقتران بها فيعيشان سعيدين

ولكن ماريان كانت تجيبه بأنها تخشى ان تقنع زوجها بالصفح عن هذا ابن العم المزعوم وأن خيراً له ان يسعى الى الصلح معه فى مقابلة فجائية ولا يتسنى هذا الا إذا ما جاء على مقربة منهما فيختفى عن نظر زوجها فرضى موشى بهذا الرأى وجاء «ناتيل سورمارن» متخفيا فى زى آخر واقام قريبا من المنزل ثم ابلغته ماريان بأسف انها لم تنجح فى الخطة التى كانت قد رسمتها فان زوجها كان يصم الأذن عن استماع كل كلمة عنه فاستشاط موشى غضبا وكان يسمع تهديده لسيمون وهو فى غرفته التى يقطنها بمنزل السيدة نيكو مورو وكان هذا المنزل منفرداً فى حديقة صغيرة ذات اعناب وزهور محاطة بسور ارتفاعه عشر أقدام والداخل اليه من

باب الشارع يجد أمامه ممشى مظللا بالاشجار والى جانبه اوراق الزيزفون تغطى الحائط .

وهذا المنزل صغير يحتوى على حوش به معصرة العنب وكرمة تكتنفه وقد جاء سيمون وزوجته هذا المنزل ليبقيا به حتى موسم جنى الكروم وتقوم على خدمتهما امرأة من الجهة تدعى مدام ليكوفرير وخادم صغير اسمه ميشيل ويجىء كل يوم لجنى الكروم البستانى كرسبين توانو وزوجته .

وفى يوم الخميس ١٣ اكتوبر ذهب سيمون وزوجته لتناول العشاء فى ميرى لدى مدام لستنكور وهى صديقة قديمة للأسرة قبلت أن تدخل ماريان بيتها اعترافا منها بذكرى والد زوجها .

وهذه السيدة متوسطة فى العمر ارملة جنرال من المدفعية ذات مروءة وكرم وكان على المائدة فى هذا المساء ولدها المسيو دى ميرى وزوجته ومدام باردو فكان جملتهم ستة وتناولوا الحديث عن أسرة رينكور فانحى سيمون

باللائمة على اخيه شارل وذكر ما اصابه منه من ضرر وما كان بينهما من شجار وختم حديثه بأن قال : « ان ليس له الآن من عدو يخشاه سوى أخيه »

وفى صباح يوم ٥ اكتوبر كان سيمون يتنزه فى الحديقة فالفى باب دخول المنزل مخلوعا فحسب أن الفلاحين طمعوا فى ثمار حديقته واعاد الباب إلى ما كان عليه وكان ينقطع عامة يومه الى جنى الكروم ووضعها فى المعصرة وكانت الرياح تهب شديدة فى هذا اليوم والسماء تنذر بالمطر وما اقبل الليل حتى هبت العاصفة وارسلت السماء مطرها مدراراً وتأخر سيمون ساعة عن موعد تناول العشاء وهو منهمك فى عمله حتى اذا كانت الساعة الثامنة تناول وزوجه الطعام فى المطبخ نفسه أمام الخادمين حتى لا يحملاهما عناء وكان هذا المطبخ صغير المساحة له شرفة لا حاجز لها وبها لوح من الزجاج مكسور استعيض عنه بقطعة من القماش وفى وسط المطبخ مائدة بيضاوية الشكل .

وقد انتهى الزوجان من تناول الطعام الساعة الثامنة والنصف وكان امامهما شمعدان واحد وميشيل الخادم

الصغير جالساً فى ركن عند النافذة يفكر وقد وضع يديه على جبينه والبستانى واقفاً على مقربة من الموقد والطاهية تهيء الطعام للخدم .

وبينما ماريان تقدم لزوجها فى نهاية الطعام خوخة إذ انطلقت من النافذة التى عليها قطعة القماش ثلاث رصاصات اصابت سيمون فخف من مقعده وسار اربع خطوات وقال : «من هذا يارباه ؟ لقد فقدنا» ثم خر صريعا

واستولى الخوف على الموجودين بالمطبخ فهرب البستانى والخادم الصغير وقلبت الطاهية آنية الطعام فى النار واسرعت ماريان الى سيمون وكان قد امسك بها عند وقوفه وسقطت عند ماخر صريعا ثم وقفت ونادت الخادمة تساعدها على حمل زوجها إلى ركن من المطبخ حاسبة انه فى حالة اغماء وحاولت أن تسقيه جرعة من النبيذ فقدمت الكأس الى شفتيه فردتا الشراب مع مافاض من جوفه من دم ثم فكت ثيابه ووضعت يدها على قلبه لتطمئن على حياته ثم رفعت يدها فاذا هى مصبوغة بالدم الذى بدأ يتصبب من جروحه فصرخت قائلة :

« انه مات »

ثم اغمى عليها وعند ما افاقت كان الخدم محيطين بها والجزع متملكا قلوبهم فطلبت منهم أن يستدعوا القسيس والطبيب الجراح واقرب واحد من المحققين يقطن قريبا من المنزل وقاضى نانتيل وان يخطروا اهل القرية بوقوع الحادثة . .

وقد اسرعت امرأة البستانى والخادم الصغير بتلبية امر سيدتها بالرغم من شدة هبوب الرياح وغزارة الامطار وكانت الجثة لاتزال ملقاة على الارض وجاء الطبيب فحقق حدوث الوفاة وساءل ماريان عمن يمكن أن تتهم فى ارتكاب الجريمة

وكانت ماريان فى حالة ذهول فلم يسعها إلا ان تصرح للطبيب بما قال زوجها نفسه بمنزل مدام لستنكور عند ماكانا مدعوين لتناول العشاء وهو أن ليس له من عدو سوى شقيقه شارل دوبلسيس وذكرت أن القاتل لابد أن يكون هو وهذا يعد انتقاما مريعا

وجاء احد الفلاحين وقال انه وجد بالحديقة غدارة

متوسطة الحجم وهى ولا شك السلاح الذى استعمله القاتل .

ثم غص المنزل طول الليلة بأهل ناتيل الذين آلمهم وقوع هذه الجريمة واخذت الارملة ماريان الى غرفتها وانطرحت على سريرها محمومة تقيء كل علاج تجرعه وهى غير منقطعة عن البكاء

وفى الساعة الثامنة صباحا جاءت عربة تقل مدام لستنكور التى ما انبئت بالجريمة حتى سارعت الى هذا المنزل وقالت لماريان انها لاتستطيع البقاء به وانها ستستصحبها معها الى ميرى لتحل بينها ويتولى رجال القانون تحقيق الامر فقبلت ماريان طلبها واسرعت فجمعت ثيابها والاوراق ووضعتها في صندوق نقل الى العربة وانطلقت بها وقد رأى بعض الحاضرين من الغرابة ان تترك ماريان جثة زوجها هكذا وتبرح المنزل ولكنها فى الحقيقة كانت مريضة فلم تصل إلى ميرى حتى لزمت السرير عشرة ايام مصابة بالحمى

بدأ رجال القانون فى التحقيق حيث جاء قاضى فرتبيه سوجوار الواقعة فى «باروازين» من دائرة اختصاصه ومعه كاتبه ونائب محقق فوضعت الاختام وترك امراً لشيخ القرية يخول له الحق فى دفن الجثة

من القاتل ؟

ذاع نبأ هذه الجريمة سريعا وذهبت الظنون فى تأويلها مذاهب شتى فقال بعض النسوة أن زوجته ماريان هى القاتلة لأنها لم تمض إلى جانب الجثة سوى ربع ساعة كانت خلالها بالطبع على حال سيئة وقالت اخريات أن هذه الزوجة حملت أحد عشاقها على قتل زوجها ليخلو لهما الجو

واشترك الخدم مع أهل الناحية فى التعليل والتأويل ثم اتجهت الظنون الى موشى الذى اختفى فجأة من نانتيل تاركا على سريره لمدام « نيكول مورو » التى كان يقطن عندها ورقة صغيرة كتب لها عليها بالقلم الرصاص : « ستدفع لك مدام رينكور الحساب »

وسرعان ما تغير رأيهم فى القاتل فقالوا إنه ليس هو ولكنه أخوه شارل دوبلسيس واخذ الاهالى يقيمون عليه الحجج التى تتمخض عنها ادمغتهم وكان أخف الاقوال وطأة ماذهب اليه بعض السكان من أن موشى وشارل شريكان فى

اقتراف هذه الجريمة

وقد اتصل بماريان وهى طريحة الفراش مايتقولون به عنها فكانت تحتدم غيظا منكرة هذه التهمة الشنيعة محققة براءتها وذكرت أن لا يدل لها فى الجريمة سواء اكان مرتكبها موشى أو شارل او كلاهما معاً وودت لو أن موشى هو الجانى حتى تكون هى نفسها جلادته.

ثم تنهدت ماريان وصرحت لمن حولها بأنها تعبت من انكاد الحياة وانها تؤثر الموت وانها مستعدة لأن تتنازل عن كل ما ملكت يداها لتنقطع الى دير تقضى به ما تبقى من أيام حياتها

وفى ١٧ اكتوبر كلفت الخادم ميشيل بأن يذهب إلى باريس ليبلغ اسرة رينكور وان يتولى فى مروره بمو الى النائب العمومى فيقدم شكوى باسمها تتهم فيها بالجريمة شارل دوبلسيس شقيق زوجها وموشى معه.

ولكنها عادت فى صباح اليوم التالى فاصلحت من بلاغها وذكرت أن موشى لم يكن شريكا ولكن شريك شارل فى الجريمة كان خادمه برنال فأدرك النائب انها لم تكن

متحققة من المجرم فقرر التحقيق مع الفريقين

ولما أن اتصل نبأ الجريمة بأسرة دوبلسيس دعا الاخوة الثلاثة الذين كانوا موجودين احد مديرى البوليس المدعو دوبوا إلى أن يرافقهم الى باروازين ليجرى تحقيقا حتى يعرف القاتل وأن يكون معه نائب محقق من شاتليه وكان هؤلاء الاخوة على اعتقاد ثابت من أن ماريان دفعت موشى إلى قتل زوجها لترث ثروته وتتأهل بشريكها فى الجريمة

ولما أن اتصل هذا النبأ بماريان احتجت عليه فى الحال. وفى يوم ١٢ اكتوبر ذهب اليها جاويش من شاتليه يدعى جوجلى جاءها من قبل المسيو لستنج الدائن فى ميراث القتيل يستفسر منها عما وقع ويطلب الحصول على الضمانات اللازمة

فقالت له ماريان أنها تسلم بما يريد وتنفحه بثلثمائة جنيه إذا ما اجرى تحقيقا شخصيا فى البلدة وجاء بشهود يؤكدون بادلة قاطعة ان شارل دوبلسيس هو القاتل فقبل جوجلى وأخذ عليها التعهد اللازم وانصرف يطرق بيتا بعد بيت وقرية فأخرى وهو على ظهر جواده وقد نجح فى مهمته حيث امكنه أن يجد خمسة وثلاثين شاهدا اقسموا أنهم

رأوا دوبلسيس بأعينهم وصرح نيقولا برديه المزارع من أملاك مدام لستنكور أنه رآه قبل ارتكاب الجريمة بنصف ساعة ممتطيا جوادا ومعه بندقيته وقال «بيير دى بو» البناء انه صادفه فى الطريق وكان يتبعه واحد يسير على قدميه وشهدت سائلة تدعى «مرغريت دستر» وانها بصرت به فى الطريق بين فيليبه ودنتون وهو مرتد معطفاً احمر ممتطياً جواداً احمر وعلى رأسه شعر مستعار اصفر وهو مستطيل الوجه مشرب بالدم وقالت سائلة اخرى تدعى جان لاجاش أنها رأت دوبلسيس على طريق فيللى لابوترى وعرفته من تورد وجنتيه وقال صانع براميل فى نانتيل يدعى برتلمى جينيتو انه رآه يروح ويغدو على جواده أمام حانوته قبل وقوع الجريمة بيوم وشهد جان فاليه البيطرى فى فندريه القريبة من ليزى ان هذا الرجل الاحمر الوجه جاءه فاعتنى له بحذاء جواده الاحمر . . .

وقد استنتج جوجلي من شهادة الخمسة والثلاثين شاهدا هؤلاء أنهم رأوا فى المدة بين اواخر سبتمبر و ٢٠ اكتوبر رجلا يمتطى جوادا احمر عرفوه جميعهم بأنه دوبلسيس وكانوا

يشهدونه احيانا منفردا ومرات يتبعه خادمه وفى بعض الاحيان كان يحمل بندقيته .

ولما أن وقفت ماريان على شهادة هؤلاء اقتنعت بأن شارل دوبلسيس هو القاتل واضافت الى ذلك ما كان بين الشقيقين من تنازع حتى أصابت الفاقة زوجها وابهظ كاهله بالديون واستولى على ثلاثة مواريث فى خلال عامين وانفصل عن زوجته بعد اقترانه بها بثمانية عشر شهرا

وفى ٢٩ اكتوبر جددت ماريان شكواها متهمة بقتل زوجها اخاه شارل دى رينكور دى دوبلسيس

ثم ظهر شارل فجأة حيث جاء «منميدى» ثائر النفس ومر «بنانتيل» مستفسرا من الناس عن الجريمة ثم عاد الى باريس بعد ان علم أنه متهم بالقتل ولكنه لم يحفل بهذه التهمة إذ كان على يقين من ان هناك واحدا آخر ولكن شهادة الشهود لا تنقض حقيقة وأخذ يستعيد فى ذاكرته انه اقام بين ١٨ سبتمبر و ١٤ اكتوبر فى منميدى وهى تبعد عن نانتيل اربعين ميلا وكان بها على مشهد من جميع الناس . اما الايام القريبة من يوم الحادثة وهو يوم ١٥ اكتوبر فقد امضاها

شارل هكذا : فى ٢٨ سبتمبر جاءه رسول يحمل رسائل وفى اول اكتوبر دعاه المسيو دى بوفيليه مأمور البلدة والمسيو هيوتل النائب المحقق لتناول الغذاء عنده وفى الساعة التاسعة من صباح يوم ٤ اكتوبر خلع سنافى منميدى ثم تناول علاجا وفى الساعة الثالثة بعد الظهر اجرى حسابه مع الخيازة وتحدث مع الترزى الذى جاءه بثوب جديد وفى المساء ذهب الى منزل امرأة جراح البلدة حيث يتحادث مع بناتها وفى يوم ٥ اكتوبر اصيب برعاف وجاءه حلاقه سيكار وكان من عادته ان يحلق لحيته كل يومين مرة ثم ذهب لتناول الغذاء لدى مدير المستشفى وتنزه بعد الظهر فى الميدان يرافقه ضابط من الحامية وكان يقرأ الغازيت ويتحدث مع الضابط وفى المساء تناول العشاء عند المسيو دى بوفيليه وبعد العشاء ذهب فلعب النرد مع الليوتنان المسيو دى هولس . ولما ان تأخر فى المساء جاءت خادمة ناتون ومعها خادمه لا فيلاد للبحث عنه فعاد الى المنزل وساعدته الخادمة على خلع ثيابه ثم استلقى فى سريره

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٦ اكتوبر شهد عرض

الحاميه وتناول الغذاء عند الليوتنان ومعه المسيو دى فوكون قومسيير الحرب وآخرين

ولم يعلم شارل بوفاة أخيه سيمون إلا من يوم ١١ اكتوبر برسالة من أشقائه ثم تأكد الخبر والتفصيل برسائل أخرى اتصلت به فى ١٣ اكتوبر وقرأها على مسمع من المسيو دى هولس الذى كان يلعب معه النارد ثم برح المدينة .

وقد تقدم دوبلسيس لبرلمان باريس تقريراً طلب فيه أن تنظر المحكمة فى القضية التى أتهموه فيها بخسة ودناءة وفى هذا الوقت كان المحققون الذين ناط بهم الاخوة دوبلسيس التحقيق والبحث واستجماع الأدلة ضد موشى قد حصلوا على نتائج ثمينة اكثر اثباتا للتهمة من الأدلة التى جمعت ضد شارل فقد شهد عشرون شخصاً بأنهم رأوا القاتل وعرفوه بينهم «توانو» امرأة البستانى التى كلفتها ماريان باستدعاء القسيس والطبيب إذ صرحت بأنها رأت فى الطريق وهى جادة فى سيرها رجلا عرج فى طريق منعطف تحف به الكروم فنادته : « إلى أين أنت ذاهب يا سيدى ؟ ولكن الرجل لم

يجب وتحققت مدام توانو من جوربه الابيض وقامته انه موشى بنفسه فقالت فى نفسها : « هذا عندى هو الشقى الذى اطلق الرصاص »

وقرر توانو البستانى انه وجد آثار اقدام فى الحديقة المبللة بالامطار فأدرك من حفرها قدم موشى وشهدت كاترين ماريو من ساكنات ميرى انها رأت موشى بعد ساعة من ارتكاب الجريمة يتخلل الكروم خلف باروازين لائذاً بها تحت هطول الامطار وشهد اربعة آخرون انهم رأوا الرجل نفسه يعدو بين الكروم وهو مرتد ثوبا احمر وجوربه ابيض اسود الشعر متدليه على كتفيه وكانت هذه دلائل على انه موشى وقد شهده أهل البلدة منذ أيام سابقة يجول بها وسمعه بعضهم ينذر ويهدد ويتوعد ويبرق ويرعد وبينهم المسيو فلورين الذى سمعه يقول : « سأفقده لذة العيش » « لا بد من قتله » ومن الأدلة المؤيدة لأتهامه اختفاؤه فى البلدة فجأة فى صباح الليلة التى ارتكب فيها جريمته

وقد حار المحققون فى إدراك سر هذه الجريمة التى اكتنفها الشك ورأوا ان يقبضوا على كل من له مساس بها

حتى على ماريان

وكانت هذه قد أمضت ثلاثة واربعين يوما عند مدام ستنكور وابلت من مرضها وما علمت بنبأ القبض عليها حتى طار لبها فاستصحبت خادمتها وشخصاً يدعى كريكوك وسافروا إلى باريس مختفية لكثرة تبديلها المساكن حتى وقف رجال البوليس على أمرها فنصحوا لها بأن تسلم نفسها للسجن وان تتشجع وانه سيطلق سراحها فى اليوم نفسه إذ ليس ثم دليل على اتهامها

وفى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى قدمت نفسها وجاء المساء ولم تبرح السجن فوقع فى روعها انها ستمضى به وقتاً طويلا ثم القى القبض أيضاً على دوبلسيس وأودع السجن وبدأت هذه القضية الغريبة المرتبكة التى حيرت الباب المحققين لما فيها من التناقض البين

وكان كل واحد من المحققين يريد ان يختص بنظر هذه القضية فقاضى فورتيه سوجار يقول انه وحده الذى يجب أن ينظرها لانها وقعت فى دائرة اختصاصه ويريد كبير النواب المحققين فى «موان» ينفرد بنظرها لأنها جريمة

تربص وقتل مع سبق الاصرار والبرلمان الذى بعث اليه دوبلسيس بتقريره أصدر قراره بأن تنظر محكمة «مو» هذه القضية وطالبت ماريان الأخوة دوبلسيس بتعويض قدره ٦٠٫٠٠٠ جنيه وهؤلاء طلبوا الحكم باعدامها عاجلا حتى يظفر بشريكها موشى فيلحق بها وقد كان المحققون قد القوا القبض على كل قريب أو بعيد عن هذه الجريمة فقبضوا على الخادم الصغير ميشيل والمسيو دى لستنج وتوانو وخادمة دوبلسيس وطبع الفريقان المتهمان مذكرات طائلة كلاهما يلقى تبعة الجريمة على الآخر مبديا الأدلة التى يتدرع بها

وقد دام النظر فى هذه القضية ثلاث سنوات كان خلالها دوبلسيس وماريان يترامیان بأقبح أنواع السباب وهما فى غرفتى سجنهما

ولما ان عجز القضاة عن الفصل فى هذه القضية اصدروا القرار الآتى :

« قرأ المجلس الأعلى بناء على قرار مجلس الملك أن يبت فى هذه القضية فيقرر فى ٩ يوليه سنة ١٦٩٩ انه حيث لم توجد أدلة كافية لأدانة ماريان ودوبلسيس وغيرهما من المقبوض

عليهم يجب الافراج عنهم فى الحال « ويؤخذ من سياق القضية ان المتهم الحقيقى هو موشى المختفى ولم يوقف له على أثر بالرغم من كثرة البحث عنه فاذا وجد قدم للمحاكمة »

ولكن هذا قد اختفى عن عين البوليس والعدالة متجول فى الأقاليم منتحلا ما شاء من الأسماء .

وقد وجدوا يوما ما فى حفرة بزقاق من الضاحية جثه رجل أسفر البحث عنه انه موشى كتب فيها قائله انه صديقه وشريكه فى الاجرام وانه صرح له بقتله سيمون ليتمتع بميراثه مع زوجته ماريان ولكن موشى خان عهد صديقه هذا فى انتهاك حرمة بيته فأراد ليريح من شروره الانسانية والشرف .

« تمت رواية حيرة القضاء »

رواية

المجنون

قال المسيو جافير :

قدر لى منذ سنوات أن أزور مستشفى المجاذيب الذى لصديقى الدكتور بونرجار وهو واقع على شاطىء البحر على مقربة من ضاحية لافلوت الصغيرة فى جزيرة رى .

ولم تكن لى سابقة عهد بزيارة مثل هذه المستشفيات وانى لأعترف بأن هـذه الزيارة كانت الاولى والأخيرة وعند ما يقف القارىء على ما أرويه يدرك السبب الذى جعلنى أقسم أغلظ الأيمان على أن لا أزور مستشفيات المجانين وان لا أطأها بقدمى .

فى صـباح يوم صحو مشرق من أيام الربيع نزلت من الباخرة كولينى الصغيرة واتجهت الى مستشفى لافلوت وكان يبعد عن الشاطىء عشرين دقيقة سيراً على الأقدام وكان زائرو هذا المستشفى قليلون لانفراده بمكان بعيد بالجزيرة

على شاطئ المحيط الهادى، وقد قابلنى البواب بترحيب واحترام وأخذنى الى غرفة صغيرة للاستقبال وتلطف فذهب بنفسه لأبلاغ الطبيب وكان هذا منهمكا فى العناية بمريض فأرسل إلىّ يعتذر لعدم استطاعته مقابلتى فى الحال .

فجلست إلى منضدة عليها كتب ومجلات طبية فأخذت أتصفح شيئاً منها اضاعة للوقت ولم أتنبه من قراءتى إلا إذ بصرت أمامى برجل اسمر اللون بادرنى قائلا :

— أتريد مقابلة أحد يا سيدى ؟

— نعم انتى فى انتظار الدكتور بونرجار

— انه فى شغل الآن ولا أظنه يفرغ منه قبل ساعة فهل تود أن تضيع هذا الوقت بزيارة المستشفى ؟

فأجبته بأن هذا يسرنى وخرجنا معاً من الغرفة فقال الرجل :

« انى من خدم المستشفى يا سيدى وواقف تماما على الطريقة التى يستعملها الدكتور فى شفاء مجانينه وأنا من أول مساعديه فى طريقته هذه »

وسرت مع رفيقى هذا فزرنا الاقسام المختلفة وآنست

أن أغلب المجانين متمتعون بحريتهم مطلقوا السراح وقد أجيز لهم أن يتنزهوا فى الحديقة الفسيحة التى خصهم بها الدكتور بونرجار ثم قال لى الرجل وهو يشير بأصبعه الى رجل جالس على مقعد :

— انظر . ان هذا الرجل أشد المجانين خطراً فى هذا المستشفى

— احقا ما تقول ؟ ان الناظر اليه لايحسبه كذلك

— كلا يا سيدى فان الظواهر خداعة لدى الذين بهم مس من الجنون . وقد كانت هنا إمرأة شابة كان لطفلها وخضوعها مما حبب اليها أهل المستشفى وقد تمكنت يوماً من الحصول على مدية وذبحت اثنين من رفيقاتها

فقلت للرجل :

— اليس من الخطر اذا أن تترك الحرية هكذا للمجانين

— هذه طريقة عملنا هنا يا سيدى فاننا نبذل الجهد فى معاملة المجانين كأنهم عقلاء وبهذه الطريقة ينسى الكثيرون منهم جنونهم ويثوب اليهم رشدهم . وقد ارتكبوا بالطبع اغلاطا وفظائع فى بعض الاحيان ولكن حالتهم فى الغالب

حسنة . .

وكنا قد انتهينا وهو يتحدث إلى طرف الحديقة فاخرجت ساعتى وقلت له

— ربما كان الوقت قد حان للعودة إذ ربما يكون الدكتور فى انتظارى

— لااظن أنه انتهى من عمله بعد والوقت منفسح لنا لنصعد الى السطح حيث نشاهد مناظر فخمة جميلة

فدخلنا فى جناح من المستشفى مؤلف من ثلاث طبقات وصعدنا السلم بعد أن أغلق باب هذا البناء حتى إذا ماصرنا على السطح رأينا المحيط تتضارب امواجه ولا يدرك البصر مداه وبصرنا على بعد بشاطىء «الفنديه» والى الجنوب شاطىء «بالليس» الجميل فقلت لصاحبى :

— ان هذه مناظر جميلة ياصاح .

— نعم وترى اجمل منها من الناحية الأخرى

واتجهنا الى الناحية الأخرى ولم نتوسط السطح حتى أوقفنى الرجل فجأة وقال بلهفة :

— هل أنت متزوج ؟

فنظرت اليه بدهشة وقلت له :

— نعم تزوجت منذ عام ولكن لم هذا السؤال ؟

— لا تضحك يا سيدى فانى جدى معك فى كلامى. وهل تحب إمرأتك ؟

فقلت فى نفسى وأنا احسب الرجل يمزح معى :

— ماذا عساه يريد أن يقول

فقال الرجل :

— مادمت تحب زوجتك كما تقول فلا بد أن يكون لك قلب

فقلت له بصوت مرتفع :

— بالطبع

فقال الرجل :

— ارجوك أن لاتضحك يا سيدى . هل لك أن تقول لى باخلاص عن حجم قلبك

ونظر إلى الرجل بشدة وحملق بعينيه السوداوين فادركت فجأة الحقيقة الواقعة الرهيبة وهى :

ان الرجل الذى يحادثنى مجنون .

وعند ما ادركت حرج موقفى ارتعدت فرائصى ولبثت لحظة فى ذهول ثم استعدت رباطة جأشى وقلت فى نفسى ان هذا المجنون استدرجنى ولا شك للصعود الى هذا السطح وفى نيته أن يلقينى . وكان الرجل قصير القامة وكنت أنا أشد منه بأساً وأقوى بنية وخالجتنى فكرة الانقضاض عليه ولكننى خشيت أن يكون معه سلاح ثم رأيت أن الحيلة هى امثل طريقة للخلاص منه فقلت له :

— لم ير أحد يا سيدى قلبى ولا يعرف حجمه . وإنى أظن مع هذا أنه صغير الحجم ولا فائدة لك به وخير لنا أن ننزل لمقابلة الدكتور

ـ انى متأكد ياسيدى أن عندك حاجتى التى ارجوها فأصغ إلىّ . . . أننى لم احب احداً بتاتاً فعلى هذا ليس لى قلب وأنت تدرى انه من الضرورى للحياة أن يكون للانسان قلب ليعيش . ولما لم يكن لى واحد فمن المحقق اذا أننى ميت . واظن كلامى هذا من المعقول . . . اليس كذلك يامجنون . . . ؟ وهنا يمكنك ان تدرك دون اجهاد فكر انى لا أريد ان تبقى ميتاً الى الأبد . . . ولهذا اريد أن آخذ قلبك .

ثم سكت المجنون عن الكلام ووضع يده فى جيبه واخرج خنجرا فتأكدت حرج موقفى والفيت نظرة حولى فقال المجنون :

ـ فأنت الرجل الذى اريده يا سيدى

فقلت له وانا اخرج كلماتى بجهد وخوف :

ـ اظنك على خطأ يا سيدى على اننى ارى فكرتك وجيهة ولكننى ارى خيراً لك ان تختار رجلا قوياً ممتلئا صحة أما انا فأننى مصاب بمرض فى قلبى منذ عدة سنوات حار فى شفائه الأطباء . . .

فقاطعنى المجنون :

ـ هذا لا يهمنى . فأنا أريد قلبك وسأخذه وعلىّ أن أتولى علاجه وهو فى جسمى لأريحك من نفقات الأطباء وما جئت بك الى هـذا السطح إلا لنكون منفردين لا يزعجنا أحد . . . فهل لك أن تتفضل يا سيدى وتنطرح على ظهرك على الأرض ؟

فلم تهن قوتى وأنا فى هذا الموقف المزعج منفرداً أمام مجنون مسلح بخنجر مصر على قتلى وكان من العبث أن صايح

للاستغاثة إذ لا يسمعنى أحد ومحال أن أعمد الى الفرار فاسقط فى الفراغ ورأيت أن لا سبيل للشفقة الى قلب هذا المجنون وأدركت انى فقدت لا محالة

ثم تذكرت بغتة ان فى جيبى زجاجة كلوروفرم اشتريتها أمس من صيدلى فى «لاروشل» لصديق لى طبيب اسنان فى سان مارتان دى رى كنت سأزوره اليوم لأعطيه إياها فقلت للمجنون :

— أرجوك قبل اجراء العملية لتنزع قلبى أن تسمح لى بوقت قصير اكتب فيه بضع كلمات وأرجوك أن توصل الكتاب الى صاحبه

فقال المجنون :

— لك ذلك ولكن اكتب سريعاً .

فجلست على ركبتى ووليته ظهرى وأخرجت زجاجة الكلوروفرم دون ان يرى وصببتها على منديلى ثم كتبت بعض كلمات على غلاف كتاب ووقفت وقدمته له وقلت :

— هل لك يا سيدى ان تقرأ ما كتبت

فتقدم الىّ وتناول الكتاب وانحنى يقرأ ما كتبت

فأسرعت وقبضت على يده التى بها الخنجر ووضعت المنديل على وجهه فأخذ يقاوم بضع ثوان ثم خارت قواه وسقط أرضاً مخدراً تخديراً عميقاً وكذلك أنقذت نفسى من يديه

وأسرعت فى الحال إلى السلم فنزلتها وعدت من الطريق الذى جاء بى منه حتى وصلت إلى غرفة الاستقبال فلقيت الدكتور هناك وكان قد بحث عنى فلم يجدنى وكان قد حسب انى خرجت غاضباً ولكن البواب أكد له انى هنا ففتش الحديقة وغرف المستشفى ولم يذهب ظنه إلى انى كنت وذلك المجنون فى حساب على السطح فلما أن رآنى الدكتور بونرجار قال بلهفة :

— أين كنت يا صاحبى وقد بحثنا عنك طويلا ؟

فجلست وأنا ألهث من الخوف والتعب ولم استطع أن أنبس ببنت شفة فأشفق علىّ الدكتور وقال :

— خبرنى ما الذى بك ؟ وأين كنت ؟

وبعد بضع دقائق هدأت حالتى فقصصت عليه ما وقع لى مع ذلك المجنون فأرسل اثنين من الممرضين جاءا به وهو لا يزال مخدراً فقال الطبيب :

— انه أشد المجانين خطراً هنا يا صديقى واحمد الله إذ سلمت من يديه

ثم أخذ الدكتور ينبه المجنون حتى أفاق وقال له :

— هل أخذت قلب صاحبنا يا روسنى ؟

فنظر إلىّ المجنون وحملق وتحفز للانقضاض علىّ ووضع يده فى جيبه يفتش على الخنجر وكان قد جاء به الممرضان فقال :

— ان هذا الزائر الاحمق ياسيدى مجنون . فلاتدعه يخرج منه هنا . انه سلم لى بجزء من قلبه ولم يعطنى قلبه كله لأنه يريد أن يعيش معى وأنا لا اريد إلا ان اعيش بقلب كامل .

فضحكنا وقلت له :

— من حسن الذوق يا سيدى ان لا تأخذ منى قلبى كله فى زيارة واحدة . وإن شاء الله فى الزيارة الثانية أعطيك ما بقى من قلبى لأننى اريد ان اكتب وصيتى وادبر امورى بجزء من قلبى

فقال المجنون بلهفة :

— ومتى تعود بالسلامة؟

فقمت منصرفا على عجل وقلت له :

— بعد عمر طويل

رواية معجزة الهوى

هى من آيات موريس لوبلان التى يعجز ان يأتى بمثلها اقطاب الروائيين فى العصر الحاضر تلاعب فيها بقلمه و خياله ماشاء. فصور الحب الشريف وكيف يعترض اهله من الشدائد والأهوال ورسم لنا صورة مجسمة للحب الكامن والاخلاص والوفاء فى شخصى دولوريس وانطونيو الهنديين والخيانة والدناءة واللؤم والفظاعة فى شخص رولستون الدموى وكيف وفق سيمون بعد جم المصاعب وخلاصه من الاعدام الى انقاذ ايزابل التى كانت موضع الرهان بينه وبين ابيها اللورد باكفيلد حتى تكون اهلا له فدفعه الحب إلى أن يأتى بالمعجزات غير آبه بما يلاقى من اخطار

رواية

عجائب التنكر

١

فندق العالمين

« عفوا سيدتى . . ارجو العفو يا سيدتى . . اتوسل اليك بأن تتركينى . . . أننى اتألم . . ولم اسىء اليك بتاتا . . . عفوا . . عفوا . . آه . . . آه . . »

قال جاك بروتلى هذه الكلمات وهو فى حلم مزعج وكابوس اسود عميق وكان جسمه يتحرك تحت غطائه .

وقد دق باب غرفته ثلاثا فاستيقظ من هذا النوم المؤلم وجلس فى سريره وفتح عينيه الضالتين ولبث بضع ثوان حتى هدأت نفسه ثم قال :

« ادخل »

وقد ابرقت اسرته عند ما رأى أن الداخل لم يكن

سوى صديقه فابرى فخيل له أن شعاعا من الشمس قد اضاء الناحية المظلمة من حياته وعلم أن فى العالم من لا يزالون يفكرون فيه فبسط يده بسرور لصديقه فابرى والقى هذا نظرة فى الغرفة ثم قال له وقد كان سمع كلامه وهو فى حلمه المزعج :

— اراك وحدك فمع من كنت تتكلم إذا ؟

فقال له بروتلى وقد أخذ يستجمع ذاكرته قليلا :

— لم اكن احادث احداً اللهم إلا إذا كنت قد تكلمت وانا نائم . ولعل هذا يا صديقى نتيجة كابوس ثقيل وانت الذى ايقظتنى عند ماطرقت على الباب . واقول لك يا صديقى انى كنت ارى فى نومى امرأة قبيحة الخلقة مشوهة تهابر أسها شعرات قليلة وعليها اسمال بالية قبضت بكلتا يديها على عنق واخذت تضغط بكل قوتها لاخماد انفاسى فقاومتها ولما لم استطع توسلت اليها لتعفو عنى ولكنها ضاعفت جهدها وقالت : « انى النحس الذى يتبعك ولن يتخلى عنك »

فاشفق عليه فابرى وقال له :

ـ على ان هذا لن يدوم كما ارجو

- انني لم اجدني يا صديقي اسوأ مني حالا من هذه الايام فأنني اشعر ان هذا النحس سائر في اعقابي وملازمني بكل شدة وقسوة حتى لقد احسبني في جنة أو أنني الرجل الذي يتعقبه القضاء وليس هذا مما يجعل الحياة ذات بهجة وسرور

- ربما يكون ذلك . ولكن لماذا أنت بهذا الفندق ؟ أهل حجز عليك ؟ لقد ذهبت الى منزلك وابلغني البواب أنك هنا .

- نعم ياسيدي . لقد طلقت زوجتي جان التي ضاقت ذرعا من العيش مع افاق مثلي فتودد اليها بدال فلم تتردد في أن توليه ودها وان تفاضل في لحظة بين بائع كهذا وبين فتى مثلي ..

- وهل تأهل بها هذا البدال ؟

- اظن انهما ستقترنان بعد شهرين ريثما تتم الاجراءات المعتادة . وعند ما تقترن به ترد الى المسكن الذي كنا نقطنه معا فأعود اليه وحيدا اجيل في غرفه عينين باكيتين

- يالك من تعس ياصديقي :

ـ الم اقل لك ان النحس مرافقني . على انني لا اكذبك الحق بأن هذا الطلاق ليس داعي همي وحزني لأنني وجان لم نخلق لنكون لبعضنا

ـ وما الذي صنعت بالكلبين العالمين اللذين كنت تعلق عليهما آمالا كبيرة في العابك ؟

ـ لقد ضاعت تلك الآمال كغيرها كأن النحس قد ادركهما ايضاً فأن احدهما قد مات والثاني كسرت ساقه وهو يقفز خطأ من خلال طوق

ثم خف بروتلي من سريره وارتدى ثوباً آخر واخذ يسير في غرفته ثم اشار الى ركن من الغرفة به اشياء بعضها فوق بعض بغير انتظام وقال لفابري بشدة

« انك ترى هنا مقبرة آمالي حيث سقط فيها كل شيء وقد كنت اظنني سأصيب ثروة في اليوم الذي اشتريت فيه الكلبين العالمين من ذلك الرجل النوري فضاع هذا الأمل كما ضاع املي في السحر وفي الكمنجه المسحورة ولم اصادف شيئاً من الحظ السعيد حتى ولو كنت مثلك شكسبير . .

ثم اخذ بروتلى يعرض على صديقه جميع قطع العابه واحدة فواحدة وما اعده منها للألعاب السحرية ويشرح له طريقة عمله بها فدا خل الخوف نفس فابرى وعول على الانصراف دون ان يذكر لصديقه السبب الذى حداه لزيارته لأنه يزيده بذلك هما وخطر له ان ينصح له بأن يكف عن مزاولة هذه المهنة ويأخذ بغيرها وقد جازف فكاشفه بالأمر فصمت بروتلى ثم قال له فابرى :

« اصغ إلىّ يا صديقى . من الخطأ البين ان يتطرق اليك اليأس هكذا ولا يجب على الانسان ان يمضى وقته فى لعنة الحظ ومعاتبة القدر . . .

ـ انك طيب يا صديق . . .

ـ دعنى اتم حديثى . . ارى انه يخلق بك ان تستقبل الاحداث بوجه باسم لا بأمتعاض وتأفف . وان رجلا مثلك ليقابلها بصدر رحب والا زادت فى ضيق نفسه . فعليك ان تجلد امامها كأنك غير حافل بها حتى تنصرف عنك .

ـ ان هذه كلمات يسهل لفظها يا صديق .

ـ ان الحظوظ يا بروتلى لا تكون قاسية على الدوام

وانى جئتك اعرض عليك تعهدا لافتتاح مسرح ريفيليا .
وقد نقصتنا نمرة واحدة فى اللحظة الاخيرة ففكرت فيك .
فهنا لك تجد اشياء مفرحة جديدة وربما كانت لك الثروة التى
كنت تلتمسها

ففتح بروتلى عينيه يلتمع فيهما بريق السرور وقال له :

ـ انى اشكرك للطفك هذا ياصديقى ولكننى اؤكد
لك ان النحس سيلازمنى ايضاً

فأسف فابرى لمفاتحة صديقه فى الأمر إذ لم يكن
يعهد ان النحس سيرافقه إلى هناك فيسيء الى مدير ريفيليا
والى مؤجر الممثلين والأماكن واراد ان يرجع عن
قوله فقال :

ـ انك غير مرغم على القبول مادمت تخشى ملازمة
النحس لك . وربما يحسن . . .

ـ بل أنا قابل يافابرى . فاذا لم أوفق الى حظ فانى أتبصر
فى أمرى ولن أرانى فى حاجة إلا لبضع دراهم اقضى بها حاجتى

ثم تمنطق بحزامه وكان فابرى مترددا حتى قال له :

ـ ارتد ثيابك وتعال معى لتتناول الطعام معاً ثم اذهب

بك الى هناك

وكان هم فابرى أن ينقذ بروتلى من هذا الحظ السيء الملم به ولم يكن يدرى انه أخذ على عاتقه مهمة شاقة ثم قال لصديقه :

— تعال نتناول الطعام الآن وبعد ذلك نتحدث فى أمورنا الجدية

وقد داخل السرور نفس بروتلى لا لأن صديقه سعى لخيره بأيجاد عمل له ولكن لانه سيتناول الان طعاما وهو خالى الجوف فأسرع فى ارتداء ثيابه وأخذ بذراع صديقه وانطلق معه منشرح الصدر

٢

« فى فندق كريستال بالاس »

فى الساعة الثالثة بعد ظهر الغد دخل قاعة كريستال بالاس سائح يرتدى معطفا ويحمل حقيبتين وتوجه الى مكتب الفندق وطلب غرفة ينزل بها فأمر سكرتير الفندق الخادم أن يأخذ متاع الزائر ويرافقه الى الغرفة نمرة ٧٩ ولما تحفز الزائر للذهاب تقدم اليه الكاتب وفى يده ريشة وطلب منه أن يكتب اسمه فى كشف النازلين بالفندق كما هى العادة فكتب هذا الضيف بخط جميل اسمه وهو : «جاك بروتلى»

ولم يكن هذا الرجل سوى ذلك اللاعب المسكين الذى مر بنا فى الفصل السابق إذ كان نزيل فندق العالمين وجاء اليوم فندق كريستال بالاس فى معطفه الفاخر وحقيبتاه كانتا من ثمين الجلد وكان فابرى قد أحكم تدبير الأمر

ولم يبد على بروتلى أى تأثر ولم يدهش للثروة التى سيجنيها ثم تبع الخادم حتى الغرفة نمرة ٧٩ فأسرعت اليه

خادمة جميلة الطلعة وطلبت منه إذا ما كان يرتضى أن تساعد فى ترتيب متاعه فرفض طلبها ثم ابتعدت والخادم

ولما ان صار بروتلى وحده فى الغرفة أخذ يتفحصها وقد عم السرور قلبه وكانت الغرفة حسنة الأثاث فذهب الى النافذة وكان الى الجانب الأيمن مسرح ريفيليا الذى سيبدأ عمله فيه منذ مساء الغد وقد لصقت على ابوابه وجدرانه اعلانات عن افتتاحه وعن البرنامج الذى سيكون

وأخذ بروتلى يفكر فى ما إذا كان يصيب هذه المرة نجاحا وقد جافاه النجاح حتى اليوم . ثم رفع رأسه وأصر على ان ينجح واستشعر الثقة بنفسه واصبح ضنامنا حظه وتناسى أعمال مهنته السابقة ولم يجعل نصب عينيه من هم إلا التفكير فى الغد وفى انه سيصبح ممثلا حقيقيا

ويظهر أن فابرى من الماهرين فى معالجة أمراض النفوس حيث وفر لصديقه الوسائل التى تجعله يلمس الحياة الفاخرة وأخذ يروضه على ان أمله بزيادة النجاح إذ كان على يقين من ان ليس اقتل للنفوس من بقائها على حال من الشقاء وما دام قد اعتزم العمل فان الحظ سيحالفه وعلى

هذا رأى فابرى ان ينزله فى فندق عظيم

وقد أخذ بروتلى يفتح حقيبتيه وكان ادجار خادم الفندق الذى رافقه الى الغرفة يروض نفسه على الأعمال البوليسية ويقوم بمراقبة حركات وسكنات كل نازل بالفندق وكان اول همه ان ذهب الى الكاتب فقرأ اسم الضيف الجديد ثم انتحل عذراً للصعود الى الطابق الثانى الذى به غرفة بروتلى فصادف بالسلم إحدى خادمات الفندق وبيدها رسالة مغلفة وهى نازلة بها مسرعة فناداها وسألها الى أين هى ذاهبة فلم تجبه فنزل فى أثرها ولكنه لم يلحق بها إذ كانت قد خرجت من الفندق وكان يود ان يتبعها ولكن السكرتير جاء فى هذه اللحظة ودخل مكتبه فلم يجد ادجار حيلة للخروج دون ان يراه فأخفق فى اول عمله ثم صعد السلم ثانية الى الغرفة نمرة ٧٩ ووضع عينه على ثقب المفتاح بعد ان تأكد ان ليس ثم من يراه فلم يقع نظره على شىء إلا كرسياً عليه المعطف ثم نزل آسفاً وأخذ يطالع رواية بوليسية

٣

« بدء الحادثة »

نادى الكاتب ادجار مرتين فوضع الرواية فى جيبه وأسرع اليه وكان يحادث سيدة حسناء جاءت تريد التحدث مع مدير الفندق فناط الكاتب هذه المهمة بادجار وقد أسف لحضور هذه التى قطعت عليه مطالعته اللذيذة ولكنه لاحظ فى مشية السيدة شيئاً من الاضطراب وعلى وجهها ارتسمت علائم الهم والقلق وفى عينيها بدا بريق الخوف

فخالج خاطر ادجار ان هذه المرأة ربما كانت مقدمة الواقعة المؤثرة التى يترقبها من زمن ويرجو ان يلعب فيها دوره فأظهر انه متعجل بها

فقالت السيدة :

— انى اريد ان احادث المدير سريعاً

فقال لها ادجار :

ان المدير لم يحضر بعد ولكن سكرتيره هنا

— إذاً فأنا اريد محادثة السكرتير

وكان اضطراب السيدة ظاهراً جعل للشك مجالا فى نفس ادجار فذهب وابلغ السكرتير فريد اورلى ان سيدة تريد مقابلته فجاء السكرتير بعد ثوان وقابل الزائرة باحترام ولم تدع له فرصة ليقول كلمة بل بادرته هى قائلة :

— اهل نزل جاك بروتلى هنا حقيقة ؟

— نعم يا سيدتى

فتنهدت المرأة وقالت :

— انه زوجى

فانحنى امامها فريد اورلى مرة ثانية ونظرت للسيدة بدهشة ثم قالت له المرأة :

« اصغ إلىّ ياسيدى العزيز فانى سأصرح لك بالحقيقة بحذافيرها . . قلت لك ان جاك بروتلى كان زوجى. نعم كان زوجى ولكنه الآن لم يكن لأ نناقد تطلقنا وانا ياسيدى ادعى جان فيلر واليك بطاقة زيارتى وانا اقطن فندق الاجانب . ولم يكن فى وسعى ولا فى وسع زوجى ان نعيش معاً لانه كان قاسياً ولم يكن يفهمنى »

ولم يكن فريد أورلى يفاهم شيئاً أيضا ولكن ادجار كان مهتما بهذا الحديث وأخذ يقترب منهما قليلا يريد أن يقف على كنه السر ثم استأنفت المرأة حديثها : « كان زوجى قاسيا وكلما غضب زادت قسوته حتى لقد كدت اذهب غير مرة ضحية هذه القسوة وقد حدث اليوم انه طلب منى أن أقابله لآخر مرة فتولانى ضعف ورضيت بمقابلته وحسبت انها ستكون مقابلة هادئة وانه سيكبح جماح غضبه وهو مدرك انه سيفقدنى . فالذى أرجوه منك الآن يا سيدى هو أن تسمحوا لى بالدخول اليه وأن تبقوا أمام الباب حتى إذا ما صرخت جئتم لخلاصى . ولنفرض انكم لم تسمعوا شيئا بعد نصف ساعة من دخولى فأرجوك يا سيدى أن تنظر فى ما آل اليه أمرى »

فتأثر فريد اورلى من كلامها وقال لها :

ـ إذا كنت تعتقدين ان هذا الرجل يجرؤ على عمل شىء فلا تدخلى اليه بل أبلغيه انك هنا وإن المقابلة يجب ان تكون علنية فى هذا البهو

فأجابته جان فيلر :

— انك لا تعرفه ياسيدى . فانى إذا تظاهرت بأنى خائفة منه أثرت غضبه . ولما كنت قد وعدته بهذه المقابلة فانى أود أن أقابله فأرجو أن تدخلنى اليه لانه فى انتظارى

فأجابها السكرتير الى ماطلبت وذهب وإياها وخلفهما ادجار الى الغرفة نمرة ٧٩ ولما ان شرعت جان فى الدخول حاول السكرتير ان يمنعها فقال له :

— اننى لا ارجو منك الاان تبقى بمكانك هنا خارج الغرفة .

— اننى اعدك بذلك ياسيدتى وأقسم لك فاعتمدى علىّ

وعرته رعشة عند ما دخلت جان فيلر الغرفة وأغلقت بابها بسرعة وقوة وما كان ادجار مستطيعا ان يصغى الى ما يدور بالغرفة ولا ان ينظر من ثقب مفتاحها ما دام فريد أورلى موجوداً وكان همه شديد عند ما قال له السكرتير :

— اذهب انت فلا شأن لك هنا

فانصرف ادجار متغيظا حانقا على هذه الظروف

٤

فى الانتظار

لبث فريد اورلى عشرين دقيقة . يترقب خروج جان وشعر بأن الوقت يطول عليه وكان يسمع حركة وضجة من داخل الغرفة وكان الوهم يصور له ذلك لأن السكون كان سائداً الداخل

وكان ادجار فى هـذا الوقت يعمل الفكرة ويجهدها لاستنباط ما عساه أن يقع فى الطابق الثانى واخذ يفترض الأفتراضات حتى صورت له مخيلتـه وقائع عدها الحقيقة بعينها ثم ناداه السكرتير فصعد وقال له :

ـ مرت النصف الساعة فابق انت امام هذا الباب واحذر ان تغادره لأى سبب كان إذ يجب علينا الآن ان ندخل الغرفة وها انا ذاهب لأجيء بمن يعاوننا على ذلك

قام ادجار بالرقابة من هـذه الدقيقة وهو على يقين من انه سيكون له شأن فى هذه الحادثة

وكان السكرتير قد ذهب للبواب وابلغه ان حوادث خطيرة ستقع هنا وكان البواب جبانا فأخذ يرتعش فأخذه السكرتير من ذراعه ودخل به غرفة المدير وقال له مسرعا :

ـ عجل بنا يا سيدى المدير لننقذ سيدة هنا فى حالة خطر :

فأراد المدير ان يزيده ايضاحا فقال له السكرتير :

ـ الوقت ضيق يا سيدى فخذ مسدسك واتبعنى

ففتح المدير درجه وأخذ مسدسه وصعد الثلاثة السلم حتى وصلوا الى الغرفة نمرة ٧٩ فقال السكرتير لادجار :

ـ الم تر شيئاً او تسمع شيئاً ؟

ـ كلا يا سيدى

فصاح المدير قائلا :

ـ ولكن ما الذى جرى ؟ انى اريد ان الم بالأمر

فاوقفه عليه السكرتير بايجاز وصدق إدجار على قوله فطلب البواب استدعاء البوليس ولكن المدير قال:

ـ يجب قبل كل شىء ان ننقذ المرأة المسكينة

واخذ المدير بمسدسه فى يده وفتح باب الغرفة

٥

اين جان فيلر ؟

دهش المدير والسكرتير والبواب عند مادخلوا الغرفة فالفوا جاك بروتلى فى ثوب نومه ممددا على كرسى طويل يدخن لفافة تبغ

ثم دخل ادجار مدهوشا وعجب بروتلى من دخول هؤلاء الاربعة عليه دون استئذان وعدهم من المجانين فتقدم اليه السكرتير وامسك بذراعه وسأله عن مكان جان فيلر فقال بروتلى باطمئنان وسكوج

ـ اننى لا افهم ما تقول ياسيدى

فدهش المدير والبواب ثم قال السكرتير بشدة :

ـ الست مطلقا زوجتك ؟

ـ نعم

ـ اليست تدعى جان فيلر ؟

ـ نعم

ـ الم تأت هذه الغرفة قبل نصف ساعة ؟

ـ كلا

فأخذ السكرتير برأسه بين يديه كأنه يخشى ان يطير صوابه ودعا ادجار للشهادة فقال هذا :

ـ نعم كنت هنا ورأيت مدام جان فيلر دخلت هذه الغرفة منذ نصف ساعة

ثم قال السكرتير

« وقد كنا نحن الثلاثة امام هذا الباب اى مدام جان وانا وادجار وذكرت لنا السيدة انك رجل قاس وطلبت منا برجاء ان نبقى امام باب الغرفة

فقال ادجار :

ـ نعم هذا ما وقع

ثم قال السكرتير :

ـ ولم تخرج مدام جان فيلر من الغرفة مادمت لم اتحرك من امام بابها

فنظر اليه بروتلى بعظمة وقال لمدير الفندق :

ـ اتريد يا سيدى أن تخبرنى عما يريد هؤلاء منى ؟ ولكن ايها الاحمق إذا كانت مدام جان دخلت هنا فلا بد ان تكون موجودة وأزيد على هذا أننى لست بساحر حتى أخفيها .

فقال له ادجار الخادم :

ـ ربما تكون موجودة هنا

فهز بروتلى كتفيه بازدراء وقال :

ـ إذا كانت هنا فلا بد أن تكون موجودة فابحثوا عنها

ثم تمدد على مقعده الطويل بازدراء وأشعل لفافة وتناول كتاباً وانشأ يقرأ فقال السكرتير :

ـ لا بد ان تكون مدام فيلر فى هذه الغرفة فيجب ان نجدها او ان نعلم ما آل اليه امرها

واخذ الرجال الاربعة يبحثون وبروتلى يسخر منهم وهو يقرأ فى كتابه ففتشوا تحت المقاعد والفراش والدولاب وماوراء الستائر وكان ادجار يفحص فى جميع اركان الغرفة فلم يجدوا للمرأة اثراً

فضحك بروتلى إذ رأى ادجار انبطح على خشب الغرفة

ينظر تحت الدولاب وقال له :

ـ اتحسب مدام فيلر قطعه من النقود أو زر قميص يخفى تحت دولاب ؟

فوقف ادجار وقد احمر وجهه خجلا ونظر إلى بروتلى باحتقار ولاحظ المدير أنه لا يمكن ان يوجد احد مختبئاً فى الغرفة وان ليس لها سوى باب واحد فتقدم إلى بروتلى وقال له :

ـ لقد انتهى الآن يا سيدى دور الهزل . فخبرنا أنت عما صارت اليه المرأة التى دخلت هنا ولم تخرج بعد؟

فقال بروتلى :

ـ انى اقاسمك هذا الرأى يا سيدى وارى ان الوقت قد طال على هذا الهذر الممقوت فأرجوكم ان لا تضايقونى بهذه الحكاية الثقيلة

ثم خف من مقعده وقصد إلى الباب ففتحه فلم يسع المدير ومن معه إلا الخروج وكان ادجار قد تأخر عنهم آسفاً لمغادرة الغرفة فأخرجه بروتلى عنوة

٦

التحقيق

عند ما صار الرجال الاربعة فى الدور الاسفل وقد ألمت بهم جميعهم دهشة مرة قال السكرتير :

ـ وما العمل بعد ؟ امرأة تدخل غرفة ولا تخرج منها ؟ إن هذا لمن محرجات الصدور

فقال له المدير :

ـ وهل انت على يقين يا فريد اورلى انها لم تخرج فى لحظة كنت تفكر خلالها فى شىء

ـ كلا يا سيدى فانى لم انقطع ثانية عن النظر إلى الغرفة . وقد كنت مهتما لامر مدام فيلر إذ أثرت فىّ رؤيتها .

ثم قال البواب :

ـ وانا قد رأيت المسيو فريد اورلى يصعد السلم مع هذه السيدة ومن تلك اللحظة إلى ان جاءنى لم اغادر مكانى

ولم يمر امامى احد

وقال ادجار :

ـ وانا لم ابرح مكانى ايضاً

فضاق صدر المدير لان هذه الحادثة تسىء سمعة الفندق ثم لم يتردد بعد فى ان هنالك جريمة قد ارتكبت ورأى ان يخطر رجال البوليس ثم قال :

ـ عليكما انت يا فريد اورلى وادجار بمراقبة الغرفة معاً وانت يا بواب إذهب واخطر دائرة البوليس

ذهب البواب وبعد نصف ساعة اضطر المدير لغلق ابواب الفندق حتى لا تغص بالناس إذ قد اذيع نبأ الحادث فى الشارع وتهافت الناس على ابوابه من كل طريق مجاور وذهبت الظنون مذاهب شتى ثم وصل مدير البوليس ورجاله فأوقفه مدير الفندق على ما جرى فسأله مدير البوليس :

ـ تقول انه لم يبرح الغرفة احد؟

ـ نعم يا سيدى

ـ اليس للغرفة منفذ آخر ؟

ـ كلا

ـ اليس بها مدخنة ؟

ـ كلا

ـ اليس بها طنف ؟

ـ كلا يا سيدى

ـ الا يمكن المرور من النافذة إلى غرفة أخرى ؟

ـ يستحيل ذلك على أى انسان

ـ قالت هذه المرأة أنها تقطن فندق الاجانب فهل لك يا سيدى ان ترسل بوابك الى ذلك الفندق للاستفهام عنها

فقبل مدير الفندق وبعد خمس دقائق عاد البواب وافضى بالبيانات الآتية :

« تقطن مدام . جان فيلر فندق الاجانب حيث نزلت به هذا الصباح وقد جاءت بعد ظهر اليوم خادمة تحمل اليها رسالة وبعد وقت وجيز خرجت مدام جان بعد أن اعطت للبواب مفتاح غرفتها وقالت له إذا جاء احد للسؤال عنها فانها ستعود فى الساعة الرابعة والنصف ثم جاء رجل فى الساعة الرابعة وذهب دون أن ينتظر »

وكان قومسيير البوليس يصغى بانتباه لهذه الأقوال

ثم دعا الحاضرين لمرافقته الى الغرفة

وفى هذه اللحظة حدثت ضجة على باب الفندق وقد تمكن أحد المزدحمين من اقتحام الباب وكان شابا عقد الدم فى وجهه ليس على رأسه قبعة وأسرع إلى مدير الفندق فقال له هذا :

— ماذا تريد ياسيدى ؟

— ارجوك يا سيدى أن لاتضر بصناعتى التى اعيش منها . فانا مخبر صحف وقد سمعت بجريمة وقعت فى فندقك فأننى إذا كنت السابق فى نشر هذا النبأ حفظت مستقبلى فأرجوك يا سيدى أن تدعنى مشرفا على التحقيق لأخذ معلومات :

فقال مدير البوليس :

— دعوه وما يشاء يحشر نفسه فى اعمال لم يبد منها شىء حتى الآن

فشكره المخبر وبدأ يأخذ ملاحظات ثم شرع يسأل خدم الفندق فحصل منهم على أقوال متضاربة وكان مدير البوليس ومدير الفندق والبواب ومعهم جنديان قد صعدوا

السلم فالفوا السكرتير وادجار على باب الغرفة وكان ادجار مسرور الفؤاد لأنه يؤدى دورا هاما فى هذه الحادثة الغامضة فدق المدير الباب فسمع من يقول له من الداخل : ادخل

مطبوعات
مكتبة ومطبعة الشعب

﴿ يظهر فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ ﴾

رواية

العيون الثلاث

تأليف الكاتب الفرنسى الاشهر

موريس لوبلان

مؤلف روايات اللص الظريف وغريم شرلوك هولمز و ٨١٣
والسر فى العين فى مجلة مسامرات الشعب
ومعجزة الهوى فى مطبوعات مكتبة ومطبعة الشعب

٧

دهشة فوق دهشة

بلغت دهشة مدير الفندق وسكرتيره والبواب وادجار درجة الجنون عند مادخلوا والفوا وسط الغرفة مدام جان فيلر وهى تنظر اليهم ساخرة ثم بسطت يديها الى فريداورلى انسكرتير وهمت اليه وقالت :

ـ انى شاكرة لك حقيقة ياسيدى اهتمامك بى ويقظتك علىّ

فقال السكرتير بصوت متقطع جاف :

ـ ولكن ... إذاً ... ماذا ... زوجك ... اين هو ؟

فقالت جان فيلر بصوتها العذب :

ـ انه هنا ياسيدى

ـ اين هو ؟ وانت اين كنت منذ قليل ؟

وبعد لحظات كان مخبر الصحف على سدة باب الغرفة وهو

يكتب مذكراته فقالت مدام فيلر بصوت ملائكى :

ـ كنت هنا

فبدأ الكدر يتطرق الى مدير البوليس وقال :

ـ ما معنى هذه الكوميديا ؟ ولماذا تعطلون على عملى لفصل بارد كهذا

ثم آنست جان فيلر أن المسئلة ستدخل فى دور خطير فعولت على أن تتدخل فى الأمر حسما للنزاع فاسرعت ورفعت قبعتها وازالت ما يحيط بشعرها من زهور فدهش الجميع إذ رأوا ان مدام فيلر التى كانت امامهم لم تكن إلا جاك بروتلى فصاح السكرتير والبواب وادجار

ـ هذا بروتلى نفسه

فقال مدير الفندق بغضب :

ـ وما تقصد بذلك ياسيدى

وقال كذلك مدير البوليس ثم قال المخبر الصحفى :

ـ انها مفاجأة مدهشة

وقال السكرتير بغضب :

ـ لايكون الهزؤ بالناس الى هذا الحد

فتركهم بروتلى حتى يتموا حديثهم ثم التفت لهم وابتسم ابتسامة عذبة وقال بتواضعه المعروف :

— لقد أبى الناس ان يعترفوا بمالى من مقدرة ومواهب فأردت ان ابرهن لهم على مقدرتى فى تغيير الشكل والزى

فقال له مدير الفندق :

— ما كان احد ينكر عليك ذلك ياسيدى ولكن الذى ننكره عملك الثقيل الذى قمت به

ـ عفوا ياسيدى فلم يكن لى من غرض لذلك إلا زيادة الاعلان عن نفسى

فقال له مدير البوليس :

ـ ولكن مثل هذا الأعلان يكلفك كثيراً ياسيدى

فقال بروتلى :

ـ اننى آسف لأقلاقك يا سيدى المدير وما كنت اعتقد ان الأمر يؤدى الى هذا الحد وانى اقسم لك اننى ما كنت اود أن اطيل فى هذرى وارجو كى تبرهن لى على انك تحمل لى فى قلبك غضباً بأن تتفضل هذه الليلة بقبول لوج فى مسرح ريفيليا لحفلة افتتاحه الليلة المقبلة وانت ياسيدى

مدير الفندق ارجوك ان تتفضل بقبول لوج آخر وانك لتسرنى إذا ما صفقت لى وعليكم بالتصفيق الحاديها السادة فانه اكبر مشجع لممثل مسكين مثلى يطمع فى النجاح لأول مرة . . .

فأغضى مدير البوليس ومدير الفندق عما فعل بروتلى ووعداه بأن يشهدا الحفلة وعاهداه على ان يطيلا له التصفيق

وهنا كان فريد أورلى وادجار فى دهشة وحيرة فتقدما اليه ليعرفا حقيقة العمل الذى قام به فسأله السكرتير :

ـ ولكن كيف خرجت من الغرفة ؟

فأخذ بروتلى يشرح لهم انه عند ماجاء الغرفة نمرة ٧٩ تزيا بزى خادمة وخرج من الفندق وبيده رسالة فقال ادجار :

ـ نعم اذكر ذلك وقد صادفت هذه الخادمة على السلم وناديتها فلم تجب

فقال بروتلى :

ـ وكيف كنت تريدان أجيب نداءك أيها الأحمق ؟ أما كنت أخشى أن أفسد دورى ؟

فقال ادجار :

ـ أنت مصيب

ثم استأنف بروتلى كلامه :

ثم ذهبت الى فندق الاجانب وانا فى بزة خادمة راغبة فى مقابلة مدام جان فيلر . وقد كنت فى الصباح ذهبت الى ذلك الفندق وانا فى ثوب واسم مدام جان فيلر وخرجت من الفندق فى ثوب خادمة وذهبت الى غرفة صديق فابرى الذى اعارنى هـذا المعطف والثوب والحقيبتين فارتديت ثوب الرجال وجئت هذا الفندق ونزلت بهذه الغرفة باسم جاك بروتلى وهو اسمى الحقيقى

وكف المخبر الصحفى عن الكتابة بعد ان كان قد سود عدة صفحات وقال :

« ولكن هذه ليست جريمة . ولكنها الذ من جريمة فى الاطلاع وسأفرد لها مقالى الاساسى بعنوان « سر فندق كرستال بالاس » وأنا الكفيل بأننى بعد ستة اشهر اكون رئيس تحرير »

وتفرق الجمع المحتشد حول الفندق وكلهم يفاجىء الآخر بالنكتة المستملحة . ولا يغيبن عن القارىء ان الزائر

الذى ذهب إلى فندق الأجانب يسأل عن مدام فيلر لم يكن سوى بروتلى نفسه

وتزيى فابرى بثوب حاملى الاعلانات ومعه اعلانان كبيران مكتوب فيهما :

« لم تكن جريمة ولكنه مثل من اعمال فريجولى الجديد العجيبة المدهشة . أعمال بروتلى العجيب فى التزيى والذى سيبدأ تمثيله مساء الغد على مسرح ريفيليا »

وقد كان من جراء هذا التدبير الغريب فى الاعلان أن اصاب فابرى وبروتلى نجاحا ما كانا يحلمان به وقد اعادا فى مساء الغد الدور الذى لعبه بروتلى فى فندق كرستال بالاس وقد كان بين المتفرجين مدير البوليس والفندق والسكرتير وادجار والبواب وكانوا أشد المتفرجين تصفيقاً واعجابا وأول الصائحين (برافو بروتلى)

رواية

مصارع الشهوات

تأليف الكاتب الفرنسوى دلفى فبريس

عربها بتصرف

الكاتب القدير والناثر البليغ

اتربى بك ابو العز

١

المغبون فى نفسه

فى مساء يوم من ايام الصيف الجميلة بعد أن خلع جاك نديبل ماعليه من لباس البيت وارتدى كساء ثمينا يدل جمال منظره على آثار نعمة زالت، رتب شعره فى المرآة وخرج للتجول فى بعض شوارع باريس العظيمة

وكانت إذ ذاك الساعة السادسة وفى أواخر شهر مايو حيث تحلو المعيشة للمصيفين، فلا ترى فى المدن إلا فقيراً يجد

للحصول على قوت يومه أو تاجراً منعته بعض الاشغال المهمة من الذهاب الى جهات الخلاء لاستنشاق الهواء العليل والتمتع بمنظر الطبيعة الجميل

فبقدم الهوينا اخترق صاحبنا نديل قسم مونمارتر بشوارعه الضيقة وغوغائه الناجمة عن ازدحام الصناع والفعلة واتجه نحو الشوارع العظيمة قاصداً إلى الجلوس على احدى القهاوى الشهيرة هناك حيث يلتقى الشبان المتناهون فى البذخ والترف

وقد كان من عادة جاك نديل عند قبض مرتبه الضئيل أن يذهب فيجلس على قهوة هناك تدعى « قهوة مدريد » حيث يتناول مشروبه على جملة جرعات منتهزا هذه الفرصة ليمتع الطرف ببهاء ذلك الزخرف الذى عاش فى وسطه زمناً غير بعيد

ففى هذا اليوم جلس كعادته متذكراً ما مضى من حياته وما كان عليه من الابهة والبذخ قبل تطوعه فى الجيش ثم بعد موت والدته وكيف أنفق ثروته التى ورثها عن تلك الوالدة المسكينة وكانت تربو على مائة الف فرنك فى قليل من الزمان على تلك الملذات الباطلة . كذلك مرت امام عينيه

لياليه الزاهرة التى قضاها مع جميلات الباريسيات فى القهوة الانكليزية حيث كن يتناولن معه مالذ وطاب من المشروبات والمآكل الفاخرة وكيف انه الآن وهو لم يزل شابا فى الثلاثين من العمر قد وقع فى البؤس والشقاء فاضطرته الحال الى قبول وظيفة خادم فى مكتب بمرتب ضئيل لا يقوم ببعض حاجاته الضرورية :

انتابته هذه التذكرات وهو ينظر الى المارة بين رجال ونساء اختلفت عندهم الازياء باختلاف الاذواق والثروة فبهت لجمال هذه المناظر وعاد الى الحلم بذكرى ايام سعادته الأولى

٢

اللقطة

انتبه نديبل من احلامه المزعجة بعد زمن غير قصير فدفع ثمن المشروب واتجه نحو المطعم حيث يتناول عادة غذاءه فاكل قليلا وقام متجها نحو مسكنه مثقل الرأس بالافكار المتضاربة التى كانت تشغل عقله ، وقد هجم عليه حزن شديد

ويأس لم يشعر به من قبل . ذلك لأنه من ثلاث سنوات بعد أن صرف آخر درهم من ثروته اصبح محتاجاً الى أن يشتغل كاجير فى اعمال سافلة

سار على هذه الافكار يناجى نفسه بصوت ضعيف قائلا : « ما هذه الحياة التعيسة ؟ لقد فقدت ما عندى من بعض الهمة فى ظروف سلكتها بعدم تبصر املا فى مستقبل ينشط بى من هذا الانحطاط . فلم كل ذلك ؟ وما هى النتيجة التى سأحصل عليها من حياة تعسة كهذه ووجود كالعدم مادام الامل فى العودة إلى ماضى السعادة اصبح بعيداً

يقولون الحياة الحياة وانما هم هازئون !! . . . . . أيعيش الانسان كما يعيش النبات والحيوان ليأكل ويدفع اجر سكنه وينام على سرير قاس ليريح جسمه من الوصب ؟.. ليتنى عند آخر لحظة من ايام الهناء كنت مع قليل من الجسارة الهبت رأسى بالمسدس او قربت من فمى تلك الزجاجة الصغيرة المحتوية على الراحة الأبدية . إذ بعمل كهذا كنت ارحت النفس من عناء هذه الآلام »

جد بعد ذلك فى طريقه وهو ينظر الى القوم بعينين

ملؤهما الغضب والحسد وقد شعر بما لذوى المال عنده من منتهى البغضاء. فقال يناجى نفسه:

« سأملك تلك الوريقات الزرقاء (يقصد بذلك اوراق بنك فرنسا) وأملأ بها جيوبى وأنفقها كالسابق بعظمة لأستعيض بها بعض تلك الحياة الحقيقية . الحياة اللذيذة . . . وبينما هو يسير مسرعاً إذ استوقفه فجأة عثوره على شىء ملقى على الأرض فانحنى ليرى ماهذا الشىء ثم عاد إلى الذهاب مشغل الافكار وإذا بلمعان شديد نبه أنظاره فانحنى من جديد والتقط هذا الشىء فوجده محفظة جيب قد نقش على جوانبها بالفضة علامات الشرف مما يدل على أن صاحبها كان من كبار القوم. فاقترب من المصباح وقلبه يدق بشدة وابتدأ بيد مرتجفة يفحص هذه اللقطة وما تحتوى عليه

٣

جان بونتافسن

دخلت الباخرة « بريطانيا العظمى » إحدى بواخر شركة مرانسا تلانتيك الفرنساوية ميناء الهافر آتية من نيويورك تقل

عـدداً عظيما من المسافرين وكان فى انتظارهم كثيرون من المتفرجين والأصحاب والأقارب. قد حضروا المقابلة أعزائهم الذين مضت عليهـم سنون طوال تركوا خلالهـا الوطن العزيز . فكنت لاترى بين الجمع إلا وجوهاً ضاحكة وثغوراً باسمة لقرب الملتقى

واقتربت أخيراً الباخرة من الشاطىء ووقفت الى حذاء الرصيف وابتدأ المسافرون بالنزول . وكان فى أواخر من نزل منهم رجل عليه سيماء الشرف قد سار مسرعاً وحده الى أن التقى بعربة وضع فيها حقيبة سفره وسار نحو الفندق . وكان يلتفت طول الطريق يميناً وشمالا وأمارات الجزع ترتسم على وجهـه .

كان هذا الرجل يناهز الخمسين من العمر ذا عينين زرقاوين كلهما حياة وهمـة قد وخطه الشيب وترك الدهر على محياه الجميل بعض آثار تدل على ماقاساه من متاعب الحياة

فلما وقفت العربة أمام الفندق نزل صاحبنا ودفع أجر السائق وصعد الى الغرفة التى أعدت له وطلب قليلا من الطعام ودليل السكة الحديدية قائلا ان فى عزمه أن يسافر باكراً الى

باريس

فقال له الخادم

ـ ماهو الاسم الذى يجب علىّ أن أقيده فى دفتر المسافرين ياسيدى

فأخرج هذا من جيبه بطاقة زيارة مكتوب عليها الاسم الآتى :

جان بونتافسن
نيويورك
ميدان ٣٧ نمرة ١٠

ولما أقفل الباب وراء الخادم تنهد صاحبنا تنهد المسرور من وحدته ذلك لأنه يطلق لنفسه عنان تصوراته الكثيرة وليستريح قليلا من تأثر انفعالاته النفسانية التى كانت تظهر عليه من وقت لآخر كما يدل على هذا سيره فى غرفته ذهابا وإيابا وبقى على هذه الحال مدة ثم وقف فجأة خلف زجاج الشباك وقد انتبه من تصوراته وقال متمتما :

« سأكون غداً فى باريس . . . نعم غداً ! . . إذ لم يبق لى سوى هذه الليلة وبضع ساعات سأقضيها فى السكة الحديدية

واصل اخيراً إلى تلك اللحظة التى انتظرها منذ عشر سنوات حيث بذلت النفس والنفيس فى معترك الحياة استعدادا لها. ثم عاد يسائل نفسه كيف انه بعد ذلك الفرح العظيم الذى شمله حين ترك نيويورك اصبح الآن على ارض فرنسا كئيباً ينتظر تلك الساعة التى فيها يعلم نتيجة الغاية التى حضر اليها وقال : « ياترى ماهى نتيجة هذا العمل الذى قمت به ؟ وكيف اقابل انا التعس وقد اتيت مستغفراً التمس الصفح عن ذنب عظيم جنيته كان السبب ولاشك فى مصائب جمة وحوادث متنوعة ..... »

وقد تمنى ان يرى ذلك الشخص الذى يفتكر فيه شاباً جميلا ذكياً ذا مستقبل باهر وحاسة شريفة وفؤاد طاهر كما كان تركه ايام تزوجه إلى امريكا حيث كان فى الخامسة عشرة من العمر تظهر على محياه الجميل سمات النجابة والخصال الحميدة التى كانت تؤهله لان يكون ذا مستقبل باهر

ولكنه افتكر بعد ذلك ان فى معترك الحياة من الحوادث المحزنة والامور المسيئة مايؤثر فى اخلاق الفتى فيفسدها ويجعله عالة على الانسانية

وكلما تذكر انه هو بنفسه سبب تلك المصائب التى حلت بهذا الفتى التعس يعتريه حزن شديد ويأس عظيم . وكم عزم غير مرة على ان يعود من حيث اتى دون ان يعرف الحقيقة المحزنة ويرجع الى ماضى حياته التعسة حياة العزلة واليأس . ولكن الامل فى معرفة تلك النتيجه المنتظرة من سنين جعله ان يبت العزم على التوجه غدا إلى باريس على جناح السرعة وعند ذلك استولت عليه بعض الطمأنينة والراحة حينما انبعث عنده الامل فى ان سيجد هذا الشاب سعيدا قويا ذا مركز حسن حصل عليه بجده واجتهاده . ولكنه عاد إلى احزانه الماضية ووخز الضمير عند ما تذكر إساءته الماضية إلى هذا الصغير الذى ربما قابله بمثلها فطرده من حضرته صاغرا!

وهجم عليه الليل وهو على هذه التذكرات ففتح الشباك ليستنشق الهواء النقى وتذكر أخاه المتوفى منذ عشر سنين وكيف انه وهو على سرير الموت قد أوصاه أن يعتنى بولده الوحيد فلم يقم بهذا الواجب خير قيام واعتراه على ذكرى ذلك خجل عظيم وحزن شديد فانحدرت الدموع من عينيه

وصاح منتحبا :

روبير . . . روبير . . . . اصفح عنى فلقد تألمت كثيراً

٤

وصى

من هو بونتافسن هذا ؟ وما ذنبه الذى جعله هكذا كئيباً ؟ . . . هو المركيز جان دى بونتافسن من نسل احدى عائلات بريطانيا (مقاطعة فى الشمال الغربى من فرنسا) العريقة فى الحسب . وكان له أخ اكبر منه بسنتين يدعى روبير . قد دخلا المدرسة معاً منذ نعومة اظفارهما حيث جمعتهما صلة الاخوة والحنو فلم يبتعدا عن بعضهما لحظة . وكان روبير يمتاز بأخلاقه العالية وصفاته غير ميال كأخيه بالملذات الدنيوية . فبعد أن أتم دروسه الثانوية دخل مدرسة المهندسخانة حيث كان فى مقدمة أقرانه . وبعد أن أدى امتحانه الأخير بنجاح باهر خرج من المدرسة وتفرغ للابحاث العلمية المفيدة حيث بذل النفس والمال

وتزوج روبير وهو لم يزل شابا بفتاة كان يعشقها

فولدت له ولداً كان سلوته الوحيدة فى أوقات الفراغ وفى ساعات تعبه من ابحاثه الطويلة

ولقد أرادت الظروف معاكسته فى أعز شىء لديه فاغتالت يد المنون زوجته وهى لم تزل فى ريعان الشباب فبكاها طويلا ولو لم يفتكر فى ان له ولداً لكان قضى أسى وحزنا

وهذا ما حداه إلى العودة الى ابحاثه التى لم تثمر بفائدة فأصبح وقد وجد صحته قد ساءت من حزنه على امرأته وانكبابه على العمل صباح مساء. ولقد وجد انه قد أضاع معظم ثروته فى تلك الابحاث العديمة الجدوى التى كان يأمل أن يكتشف بها يوماً أشياء ربما أعاضت على ولده ما فقده من عظيم الثروة وكيف انه الآن أحس بانحطاط قواه العقلية والجسمانية أثر الحزن فاعتراه يأس عظيم فلم يعد الى معمله وانتهى به الامر الى الانحطاط يوما عن يوم حتى قضى نحبه أسفاً لعدم امكانه تربية ولده كما يحب ويختار. ولكن ما كان يظهره له اخوه جان من الود الثابت بعث عنده الأمل فى انه يقوم بتربية هذا الولد خير قيام. لذلك اوصاه وهو على

سرير الموت بأن يقوم مقامه فى تربية ولده وإرشاده فى الحياة الى الطريق القويم واعطاه مبلغ ٥٠ الف فرنك ليعطيها الى « بيير » عند بلوغه سن الرشد . وقد تعهد له جان بذلك . وحضر بيير بعد وفاة والده الى منزل عمه وسكن معه واهتم هذا بتربيته وتثقيف عقله

وكان جان يختلف فى اخلاقه كثيراً عن أخيه اذ كان غير ميال الى الدرس والمطالعة منكبا على الملذات . ولكنه وجد ان من العار ان لا يكون ذا درجة فى المجتمع الانسانى فدرس علم الحقوق وحصل على شهادة « الليسنس » وتفرغ بعدها الى معيشة الترف والبذخ . ولكنه كان الى ان مات اخوه ذا اعتدال فى اعماله لا تشوب سيره ادنى شائبة . وكان يحب ابن اخيه حباً جماً فأراد ان يقوم بما فرضه عليه اخوه احسن قيام فلم يرغب فى ان يدخله فى المدرسة بل اختار له اساتذة من مهرة المعلمين وصار يلاحظه بنفسه

وكان بيير اذ ذاك فى الثالثة عشرة من عمره . ومرت على هذه الحال جملة شهور كان فيها موضوع اهتمام ومحبة عمه المركيز مما انساه احزانه الماضية وزاد تعلقه بعمه إذ وجد فيه

ابا ثانيا وعما حنونا . وتعود المركيز على هذه المعيشة الجديدة فوجد فيها حياة سعيدة

٥

هفوة عم

ووقع حادث قضى على هذا الارتباط أشد القضاء . ذلك ان المركيز صادف فتاة تدعى ليان دى نتريه فشغف بها حبا . ولم تكن هذه الفتاة على شيء من الآداب الصحيحة والتربية الحسنة بل كان جمالها الشفيع الوحيد فى أن يجعل لها مكانة سامية بين النساء الباريسيات . ولقد وجدت شغف المركيز بها فرصة حسنة للظهور بمظهر الجمال والأبهة فقبلت أن تكون رفيقة له على أن تعيش معيشة الشريفات فيتخذ لها منزلا جميلا ويقتنى لها الرياش الثمين والعربات الفاخرة ويعطيها من المال الكثير ما تصرف منه بدون حساب

ولقد أحس بثقل وطأة هذا الغرام وما سيؤول اليه حاله بعد قليل من الزمان من تبديد الثروة وسوء السيرة . وكيف ان عملا كهذا يجعله ان يهمل امر ابن اخيه وهو تقصير

فى الواجب الذى فرضه على نفسه فعزم غير مرة على ان يبتعد عن هذه المرأة فيأخذ « بيير » ويذهب الى بلاد بعيدة إذ ربما ينسيه إياها بعد الديار وكر الأيام

ولكن كان قد أسره الغرام ودلهه الهيام فلم يقو على تنفيذ رغبته هذه فاستسلم اليها وقبل بكل ما اشترطته وأسكنها قصراً جميلا فى شارع بروى . وبت دى بونتافسن العزم على أن يبعد ابن اخيه عنه . وكان له صديق حميم من الاشراف يدعى دى لوريوز فعرض عليه ان يأخذ هذا الولد عنده لمدة محتجا بأنه يريد السفر لزمن غير معلوم . فقبل دى لوريوز ذلك واصبح بيير دى بونتافسن موضوع محبة جميع أهل منزله واهتمامهم . ولقد سر بيير من هذه الحياة الجديدة لوجوده مع رفيقه ابن دى لوريوز فى بيت واحد حيث أصبحا على ألفة شديدة لا يفترقان لحظة عن بعضهما

وما تخلص المركيز من ابن اخيه حتى اندفع فى تيار الملذات فصرف فى زمن قصير مبالغ وافرة . ورغم عنايته الكلية بهذه الفتاة لم يلاق منها الا جفاء وصدوداً ولعلها بدرجة حبه لها وهيامه بها صارت تعامله بقساوة لا مثيل لها

حتى انها كانت تستقضيه بعض حاجاتها كخادم بدون ان تشعر ببعض الشفقة على ذلك المسكين الذى كان أقل الجفاء يمزق قلبه

ولطالما أحس بهذه الآلام فلم يقو على الابتعاد عن هذه المرأة لما فى فؤاده منها من لواعج الوجد . وشعر بانحلال عزائمه امام سلطان جمالها فلم يجد سوى طريقة واحدة وهى جمع المال وانفاق الذهب ما امكنه ليملك به زمام هذه المرأة التى ربما طردته يوما حالما تعلم انه اصبح لا يملك شروى نقير

ومر ذات يوم على وكيله فأخبره بانه لم يبق من ثروته سوى مبلغ ٦٥ الف فرنك من ذلك مبلغ ٥٠ الف فرنك ميراث ابن اخيه فصعق لهذا الخبر وتذكر انه فتح كيسه لمحبوبته فكانت تنفق الذهب جزافا بدون ان يسألها عن مصدر جميع هذه المبالغ التى كانت تصرفها شهريا مخافة أن يكدرها . وما كان يظن المركيزان ستذهب يوما ثروته هكذا ادراج الرياح فى أقل من سنة حيث انفق ما يزيد على سبعمائة الف فرنك

ولما علم أنه قد اصبح على وشك الأفلاس اعتراه هم عظيم وحزن شديد فبكى بكاء مراً لسوء هذه الحال . وشعر

ببغض شديد لتلك المرأة التى كانت سبب تعاسته

ولم يبق لديه وسيلة سوى الأنتحار أو السفر إلى بلاد بعيدة بعد أن ينفق ما عنده من النقود مقابل بضع ليال يقضيها الى جانب هذه المرأة المشؤومة التى ليس فى امكانه الابتعاد عنها رغم كراهيته لها الآن

ولكنه وجد أن حياته بعد فراقها تصبح كالعدم فرغب فى أن يقضى مابقى منها بقربها حيث يضم ذلك الجسم الجميل بين ذراعيه ويرشف من لماها العذب كأس الهناء. وعلى ذلك نفى عن ذهنه جميع تلك الأفكار السيئة واجتهد فى الأبتعاد عن ابن اخيه مخافة أن يعيد اليه برؤيته ذكراها. ولم يبق امام عينيه سوى وجه محبوبته الجميل حيث انساه زمناً ماعليه من سوء المصير

واستمر المركيز على الاسراف والبذخ حتى نفذ جميع ماله فاضطر الى طرد الخدم وترك القصر الجميل الذى كان يسكنه وباع الرياش والاثاث ليسد بعض ماعليه من الديون

وشعرت ليان بقلقه فاستفسرت عن أسباب ذلك حتى علمت الحقيقة ففاجأته يوماً قائلة :

« لقد اصبحت فقيراً ياعزيزى حتى انك بعت ممتلكاتك كما قيل لى ! . . . »

فاضطرب المركيز واصفر وجهه ثم عاد الى صوابه بعد لحظة واجابها

« لقد اصدقوك الخبر ! . . . وتعلمين ياليان بأنى احببتك حباً برح بى ولأجلك خسرت جميع ثروتى كما انى قضيت على مستقبل فتى لعدم قيامى بما تعهدت به لوالده عند مماته . . . . .

وانقطع عن الكلام لحظة ثم استمر بصوت متقطع

« ولقد سخرت بى وزدت فى آلامى بجفائك وهجرك وانا اتحمل هذا العناء بالصبر الطويل املا فى ان يعود إلى قلبك قليل من الرحمة . أما الآن فقد سئمت الحياة واعيتنى الحيل وعن قليل سأصير محتاجا كبعض أولئك البؤساء الذين اراهم كل يوم يجتمعون على بابك طلباً للأحسان ولكن بكلمة واحدة من فيك وانعطاف قليل منك اعود الى الحياة بنشاط كالسابق فاشتغل لاجلك ونعيش سعيدين مؤتلفين على سعة من العيش وسترينى اطوع لك من بنانك ابذل

النفس فى مرضاتك . فأنا اتذلل اليك الآن واجثو تحت قدميك منتظرا كلمتك الأخيرة التى تتعلق بها سعادتى فلا تطردينى رحماك ولا ترفضى كلمة فيها هناء للمتيم الولهان »

وسكت المركيز بعد ذلك الاستعطاف الذى يلين الجماد منتظرا بقلق زائد جوابها

فقهقهت ليان طويلا واجابته قائلة :

« اراك يا عزيزى قد ركبت متن الشطط لأنى لااريد أن احور فى شروطى التى تعرفها . اننى احببت مرة ذقت فيها مر المصاب فمن الحمق ان اعود إلى مثلها ثانية

« ولقد بلوت الناس فعلمت منهم أنهم يهزأون بى مع مايظهرونه الى من الميل والتصابى إذ يرونى كلعبة فى ايديهم متى ماقضوا منها الوطر القوها من وراء ظهورهم وسعوا يبحثون عن غيرها اجمل رواء وأحسن منظراً فى اعينهم . فانا اسلم نفسى للسخى الذى يعرف كيف يجعلنى غنية بقيامه بجميع حاجاتى أما أنت فقد ملكتنى زمناً حينما كنت تنفق على بكرم حاتمى فماذا تريد اكثر من ذلك . لقد قمت حقاً بجميع طلباتى مدة ولكن هل تعتقد أن ذلك كان منك كرما ؟ . . كلا ! . . بل

هو تضحية لبعض شهواتك البهيمية فكيف يسوغ لك ان تطلب مني ترك هذه الحياة، حياة الابهة والبذخ لأعيش معك كأشقى الفتيات وأفقرهن حالا . فاترك عنك هذه السخرية لاني ما عهدت منك هذا الخداع من قبل . ومع ذلك أراك الى الآن غنياً لانك لم تزل تملك مبلغ ٥٠ الف فرنك

فاضطرب المركيز لهذا الكلام مما أيد عند ليان اعتقادها فقالت :

« أرأيت كيف اني أعرف كل شيء، فاذا كانت لك في رغبة فما عليك سوى أن تنفق هذه الخمسين الف فرنك »

ثم اردفت بعد ذلك بغنج ودلال قولها :

« انني في احتياج الى قضاء بعض الاشياء فقد أراني الصائغ هذا الصباح عقداً نفيساً أعجبني كما انني أوصيت على بيت جميل في مدينة « دييب » يطل على البحر المصيف فهل لك في ان تقوم بهذه الطلبات ؟ وليكن في علمك ان شاباً من اللوردات عرض عليّ غير مرة استعداده لتأدية هذه الاشياء التافهة فرفضت طلبه مفضلة إياك عليه لتعلم انني باقية على العشرة ..... فهل لم تزل مصراً على رفضك ؟ ...

فلك الخيار فى ان تقبل أو تنسحب بسلام

« والآن اودعك متأسفة لتركى إياك هكذا سريعا . ذلك لانى اريد ان اذهب الى الخياطة حيث هى فى انتظارى من مدة »

فخرج بونتافسن يتمايل كالسكران من شدة الانفعال وسار بدون ان يعرف وجهته وصار يخاطب نفسه فى كل لحظة قائلا :

« ٥٠ الف فرنك ! ..... تريد ٥٠ الف فرنك وابقى الى جانبها مدة ربما بلغت شهراً .... ولكن ..... »

وافتكر فجأة بأنه تواعد مع ابن اخيه بأن يذهب الى زيارته عند خروجه من المدرسة التى يتلقى فيها دروسه فلما وصل الى هناك وكانت الساعه الرابعة مساء وقد فتحت الابواب استعداداً لخروج التلامذة لاحت منه التفاتة الى مرآة فوجد وجهه شديد الاصفرار فخشى إذا قابل « بيير » ان يسأله عن سبب هذا الاصفرار فغير طريقه وذهب مباشرة الى منزله حيث اطلق لتصوراته العنان

وبعد تأمل طويل نازعته فيه الافكار المتضاربة بت

«انظر صحيفة ١٠٠»

العزم على ان ينتحر وصرخ متألما

« كيف اجرد هذا الصبي من ثروته بأن اسرق ميرانه ؟ انى إذاً لتعس .... سأذهب غداً لأرى ليان آخر مرة ثم انتحر بعدها ... »

وذهب فى الغد الى منزل حبيبته فابتسمت للقياه ولكنها شاهدت على محياه الحزين اشارات العزم الأكيد فتحفزت الى استمالته بالمداهنة . فقال لها بدون ان يجسر على رفع نظره اليها .

« لقد قضى الامر ياليان ... »

فأجابته

« حسنا فأنت ادرى بحالك »

واراد المركيز ان يتكلم فقاطعته قائلة

« عبثا تحاول فلقد فهمت مرامك »

فأجابها المركيز

« يجب على ان اسافر ياليان وان ابتعد الى اقصى المعمورة فلربما انساك هناك »

وتكلم طويلا حيث عنفها على صدها ومعاملتها القاسية وذكر لها ما آلت اليه حاله بسببها بانتقاله من ذلك الغنى الواسع الى هذا الفقر المدقع

وكانت ليان اثناء كلامه تظهر له من الغنج والدلال والميل الشديد ما انساه مركزه الحالى . واراد بعد قليل الانصراف

فجذبته اليها وطوقته بذراعيها البضتين ورشقته بنبال لحاظها الفتانة فحرك ذلك عنده لواعج الوجد والهيام فقبلها باشتياق واخذها بين ذراعيه . . . . . .

. . . . . .

وفى مساء هذا اليوم وصل من المركيز امر الى وكيله يأمره بان يدفع على الفور مبلغ الخمسين الف فرنك الباقية لحسابه

. . . . . .

٦

الفراق

وبعد شهر من هذه الحوادث وصل الى المسيو دى لوربوز كتاب عرف من عنوانه خط صديقه دى بوتنافسن وقرأ ما يأتى :

« صديقى العزيز

الى الآن وأنت تعتبرنى من أصدق الرجال وأحسنهم سيرة مع انى لست إلا رجلا تعسا لا يستحق مودتك وحسن عنايتك ولم اكتب لك هذا لأجتهد فى استعطافك

واستمالتك نحوى وانما لأرجوك فى أمر يتعلق بابن أخى . فاعلم بانى قد انفقت آخر درهم لى ولهذا المسكين فى الملاهى فقلل من تصويب سهام سخطك وغضبك الىّ فقد كفانى مالاقيته وألاقيه من الآلام

والآن قد عزمت على السفر الى بلاد بعيدة على نية أن لا أعود الى فرنسا الا بعد ان احصل على مبلغ من المال يعادل ثروة ابن أخى بيير التى أضعتها فى ساعات طيشى ولقد أضحى هذا الولد المسكين وحيداً لاعائلة له ولا صديق الاك حيث فيك وضعت كل آمالى . وأنا على يقين من انه سيجد منك الوصى الساهر على مصلحته والمحب الودود

فباسم والده الذى كان صديقك الوحيد اتذلل اليك بان تقبل هذا الامر فتسهر على هذا الولد حتى يصير يوما ما ذا قدرة على السير وحيداً فى تيار هذه الحياة . ولما أعهده فيك من خالص الود وكرم الاخلاق يجعلنى أن أثق بأنك لا ترفض مثل هذا الرجاء وإلا زدتنى ألما على آلامى

واليك فى الختام الوداع الأخير من أخيك البائس

« جان دى بونتافسن »

وما انتهى دى لوريوز من قراءة هـذا الكتاب حتى اكفهر وجهه . وصادف ان دخلت عليه زوجته فوجدته على هذه الحال فاضطربت وخاطبته بلهفة قائلة :

« الهى . ماذا جرى ومالى اراك بهذا الاصفرار ! هل حصلت مصيبة ؟ . . . »

فد اليها يده بالكتاب بدون أن يقدر على الكلام

وما انتهت من قراءته حتى صاحت قائلة :

يا لله من نكد طالعه ! . . . ما عساه أن يصنع ! . . . وما عسى ان يكون ذلك الولد ! . . .

ثم نظرت الى زوجها دون أن تجسر على سؤاله . ومكثا على هـذه الحال لحظة ينظران الى بعضهما وأخيراً قال دى لوريوز

« فليسامحه الآله على ما فعل ، وسيكون بيير ولدنا الثانى لحين عودته »

٧

لاجل الشرف

مضى على سفر المركيز عشر سنوات قضاها فى الجد والاجتهاد حتى صار يملك مما اقتصده مبلغاً وافراً يربو على مجموع ثروة ابن اخيه بيير . حصل على هذه الثروة بعد عناء طويل وكد عظيم . وقد كان سافر الى نيويورك ومعه قليل من الفرنكات خصصها للقيام بأود معيشته حتى يجد عملا . ففى اول الامر توظف كمترجم لمعرفته جيدا اللغتين الانكليزية والالمانية ثم صار يعطى دروساً خصوصية وتمين إذ ذاك معلما لأولاد عائلة من اغنياء الامريكانيين وحصل أخيرا على وظيفة سامية فى محل تجارى عظيم

ولطالما قبل ان يصل الى هذه الدرجة غلبه اليأس والقنوط فسهر الليالى حزيناً كئيباً . وكم من مرة اغلق عليه باب غرفته واخذ بين يديه صورة ابن اخيه حينما كان طفلا وبكى بكاء مرا كلما تذكر بأنه كان السبب فى شقاء ذلك الولد

المسكين . كذلك طالما اعتراه الجمود كلما شعر بأن ليس فى قدرته ان يحصل يوما ما على جميع تلك الثروة التى فقدها بسوء تصرفه ورغم ذلك فلقد كانت هذه الصورة باعثاً قويا لان تدعوه الى الواجب وان تبعث فيه روح الأمل والنشاط الى العمل

ولقد تذكر غير مرة صديقه لوريوز وتمنى أن يسمع عنه بعض الشىء فصادف مرة رجلا كان يتكلم عنه بخير حيث عرفه فى باريس

فسأله المركيز اذا كان يتذكر انه رأى عندهم شابا فأجابه الرجل .

« أتقصد ابنهم »

اجاب

« كلا وانما اقصد صديقاً لابنهم كان يعيش معهم »

فصمت الرجل الغريب برهة خالها المركيز دهرا واخيرا اجاب بقوله

ـ نعم اتذكر انى عرفت عندهم فتى يدعونه بيير كان يعيش معهم كواحد منهم ولم أره غير مرة واحدة »

ولم يتمكن المركيز ان يعرف من هذا الرجل خلاف ذلك ولكنه ارتاح كثيرا عند ما علم ان ابن اخيه لم يزل على قيد الحياة وفى صحة جيدة كما تركه عند تزوجه الى امريكا حيث قضى ست سنوات بدون ان يكتب حرفا واحدا اليه ليخبره عن حاله

وقضى على ذلك اربع سنوات أخرى دائبا على العمل مجدا حتى حصل على أمنيته وحينئذ شعر اول مرة براحة عظمى وفرح لاحد له وأخذ من رئيس المحل الاذن باجازة شهرين ليسافر الى فرنسا واستقل الباخرة فى يوم صفا اديمه وما ابتعدت الباخرة عن الشاطىء وأخذت عرض البحر وابتدأت شواطىء امريكا ان تختفى عن اعين المسافرين حتى أحس المركيز اول مرة فى حياته بقوة القدرة الالهية فدخل غرفته حيث جثا على ركبتيه ودعا الى الله طويلا

٨

فاجعة

وفى ثانى يوم من وصوله سافر المركيز من الهافر الى

باريس . وسار به القطار ينهب الارض وهو غارق فى بحار الافكار وقد اثقلت رأسه التصورات المتضاربة . فطورا كان يتمنى ان يطول امد السفر حتى لا يلاقى يغتة من الاخبار المزعجة ما يقضى على ما كان ينتظره من الهناء منذ عشر سنوات . وحينا كان يغلبه اليأس فعزم على ان ينزل فى اول محطة ومنها يتوجه الى الهافر ليعود من حيث أتى فلم يستيقظ من تلك الاحلام الا حينما أحس بوقوف القطار على رصيف محطة باريس فاعترته هزة وصاح مندهشا

ماذا ! ! أوصلنا هكذا سريعاً

وقصد المركيز فندقا بشارع سان لازار حيث وضع جعبة ملابسه ونزل مسرعا قاصداً البحث عن ابن اخيه فتوجه صوب شارع هوسمان الذى كان يسكن فيه صديقه الكونت دى لوريوز

وقد كان المركيز أثناء طريقه يمتع النظر بمرائى باريس الجميلة وقد احس بسرور عظيم لوجوده بعد مضى ذلك الزمن فى تلك المدينة الزاهرة حيث الفاها على ما كانت عليه عند سفره من الحركة الدائمة والمناظر المدهشة . ووصل أخيراً

الى المنزل وهناك تذكر ماضى حياته وكيف انه كان أيام سعادته يكثر من الترداد على أهـل ذلك المنزل وكيف أنه الآن لايجسر على الصعود إلا بعد الاستئذان وانتظار ما سيفاجئه من الأخبار. فتأوه لذلك من كبد حرى وتقدم مرتبكا الى البواب وسأله قائلا

— ارجوك أن تفيدنى إذا كان الكونت دى لوريوز لم يزل يسكن هذا المنزل؟

فأجابه البواب

— نعم يا سيدى ولكنه الآن فى جهات الخلاء

فقال الكونت

— انه لنبأ مكدر ولكن قل لى هل تعرف فتى يدعى بيير دى بونتافسن ؟

فأجابه البواب

— كيف لا اعرفه وهو من اخصاء سيدى الكونت

فقال المركيز

— أيمكن ان اقابله ؟

فاجابه البواب

— ان المسيو دى بونتافسن قد نقل سكنه من هنا منذ ثلاث سنوات

فاصفر وجه المركيز عند سماعه هذا الجواب وسأله

ـ اتعرف عنوانه الجديد لانه يهمنى جداً أن اراه لأمر ذى بال

ولحظ المركيز علامات التردد على وجه البواب فاخرج من جيبه بطاقة زيارة ومدها اليه قائلا :

ـ اليك هذه فأنا عمه المركيز جان دى بونتافسن وقد حضرت من سفر طويل

فلما علم البواب ذلك لم يتردد لحظة واحدة فى أن يجيبه الى سؤاله فشكره المركيز وركب أول عربة صادفته فى طريقه وذهب توا الى حيث يسكن بيير

وكأن قرب اللقاء انساه بعض الآلام فظهرت على محياه علامات الفرح العظيم وحمد الله إذ رجع فوجد ابن أخيه على قيد الحياة ولكنه عاد اليه بعض الاضطراب فصار يناجى نفسه قائلا :

« يا ترى كيف اجد بيير ؟ وما تكون مقابلته لى !

وهل حصل على مركز ؟ »

وتمثلت امام عينيه صورة صديقه دى لوريوز فاطمأن بالا لعلمه انه لو لم يكن بيير ذامركز الآن لما تركه ذلك الصديق الحميم ان يسكن وحده

ووقفت العربة امام منزل صغير فنزل المركيز وبعد أن صرف السائق تقدم الى الباب على نية الصعود وعندئذ هجمت عليه الافكار المتضاربة فلم يجسر ان يفاجئ ابن اخيه بالمقابلة بدون سابق اشارة بينهما وخشى أن يصادف عنده بعضهم فيطلع على أمره وعلى ذلك فضل أن يعود الى غرفته وان يكتب اليه كتابا يخبره فيه بعودته من امريكا وبان سيزوره في ضحى الغد . ورجع حينئذ الى غرفته وكتب اليه كتابا طويلا بث له فيه الشوق العظيم ورجاه أن يغفر له هفوته وان يحسن مقابلته واخبره ضمنا بأنه قد قام بما فرضه على نفسه فجد حتى حصل على مبلغ ٥٠ الف فرنك وما ينيف واوعد بأنه عند مقابلته اياه غدا يسلمه هذا المبلغ سيئة كانت المقابلة ام حسنة

وختم الجواب وذهب بنفسه الى مصلحة البريد حيث

القاه بيده فى الصندوق وعاد الى غرفته . وبعد تناول طعام الغداء عزم على الخروج للرياضة فى شوارع باريس العظيمة ليمتع الطرف ببديع المناظر . فمشى طويلا حتى احس بالتعب فعزم على العودة الى الفندق فضل أثناء الطريق ولم يعد فى امكانه سوى الركوب فى أول عربة تصادفه والتقى بعد قليل بعربة مجدة فى المسير فأشار للسائق بالوقوف

وهم ان يصعد واذا بالجواد قد جمح فجذب العربة الى الامام فسقط المركيز والتقت رأسه ببلاط الرصيف فاغمى عليه وكان الشارع حينذاك خاليا وصادف مرور اثنين فعاونا السائق على حمله الى أقرب صيدلية حيث اعتنى به حتى عاد إلى صوابه

وشكر المركيز من اعتنوا به وبعد ان استراح قليلا هم بالانصراف وامر السائق بان يوصله الى محل سكنه وافتقد المحفظة المحتوية على الاوراق الماليـة فلم يعثر عليها فاصفر شديدا وصار يبحث فى جميع جيوبه فلم يجد شيئا فصرخ قائلا:

« انى فقدت المحفظة المحتوية على جميع ثروتى فأرجوكم البحث عنها . هيا : فلربما فقدتها عند سقطتى . . . »

وركض الى المحل الذى سقط فيه وبحث طويلا فلم يجد شيئاً فاعتراه ذهول عظيم وعزم على ان يتكلم فلم يقدر وسقط بين اذرع الحضور

٩

افراح نديل

تركنا جاك نديل فى آخر الفصل الثانى وقد استولى على لقطته الثمينة وابتدأ يفحصها وقد اخذ منه الاضطراب مأخذاً عظيما . وما فتح تلك المحفظة الجميلة حتى وقع نظره على رزمة من الاوراق المالية فطواها فى الحال ووضعها فى جيبه خشية ان يكتشف على امره احدهم وسار توا الى منزله

ولما صعد الى غرفته اوصد عليه الباب وفتح المحفظة وجلس يعد تلك الاوراق المالية فوجدها ثلاث وخمسين ورقه قيمة كل واحدة منها الف فرنك مع بضعة جوابات تجارية باسم جان بونتافسن بنيويورك فأحس عندئذ بنشاط وفرح عظيمين إذ قد تحققت أحلامه فخدمته تلك العناية الخفية وعاد غنياً كما كان من قبل . ولكنه توهم إن ضياع مبلغ

كهذا ربما أدى بصاحبه الى اليأس فالانتحار وانه من الواجبات الانسانية أن لا يترك هذا المرء ضحية للاقدار وما لبث أن تغلبت عليه أهواء النفس البهيمية واستولى عليه الطمع وحب الذات فتذكر إنه ربما كان من نصيبه هذا الأمر فاقتدته الأقدار بذلك التعس الذى لا يبعد أن يكون تحصل على هذا المبلغ بطرق سافلة. وعلى ذلك حمد الصدف وتقدم من سريره حيث شق بسكين وسادته ووضع داخلها المحفظة ثم نظر الى ساعته وقال متمتما :

« حيث من الصعب أن أنام وأنا على هذه الحال فالأحسن لى أن أخرج وأقضى هذه الليلة فى حبور مع الاحتراز من تنبيه عيون الرقباء . ولا مانع يمنعنى من ذلك مادمت غنياً ؟.. »

وعلى ذلك خرج وقد تذكر ماكان عليه قبل ذلك بساعة من البؤس والشقاء فحمد العناية التى نقلته من حضيض ذلك البؤس إلى أوج هذه السعادة ولكنه عاد فاعتراه الذهول عند ما افتكر إنه من الواجب أن لا يبادر بترك وظيفته الحقيرة إلا بعد مضى بضعة أيام حتى تنام عيون الرقباء خصوصاً وقد أيقن انه سينشر غدا خبر فقد هذه المحفظة

فى الجرائد . ثم قال يخاطب نفسه :

« حقا لا تكمل سعادة المرء فى هذه الحياه ! . . فانك ترانى مع ما تحصلت عليه من هذا الكنز الثمين مضطرا لأن أكدر صفو حياتى أيضا بضعة ايام »

وعلى ذلك عزم على أن يخبر غدا رئيسه بأنه وجد عملا مثمراً عند أحد أصدقائه ويرجوه البحث مدة أسبوع على خادم خلافه

وتوجه نحو مونمارتر حيث تكثر القهاوى والمطاعم الليلية فدخل أحدها وطلب بعض الشىء وجلس ينظر الى الحاضرين باعجاب وسرور وقد خلب لبه جمال الغادات واختلاف أزيائهن وما قد تحلين به من الجوهرات الثمينة التى تدهش الابصار . وأنعشت روحه تلك الروائح العطرية المنبعثة من ملابسهن . واسترعى سمعه صوت الموسيقى الشجى فأخذه الزهو واستولى عليه فرح عظيم إذ وجد أن فى الغنى السعادة وفى المال الحياة الحقيقية واللذة الدائمة . . .

واستمر على حالته الأولى أسبوعا كاملا لقى فيه من عناء الخدمة وزجر الرؤساء ماجعله أن يكره الى الأبد ذلك

العمل الشاق

وفى مساء آخر يوم من الاسبوع المذكور قبض نديل مااستحقه من مرتبه وتوجه باسم الثغر الى منزله حيث أخبر البواب بأنه قد وجد وظيفة كاتب أسرار عند أحد أصدقائه الاغنياء ورجاه أن لايذكر لأحد عنوان محل شغله القديم. وصار فى أكثر أيامه يخرج من منزله مبكرا فلا يعود الا ليلا حتى يمحو بذلك كل أثر للشبهة عند البواب أو خلافه من السكان

وعاد نديل الى أيامه الاولى ايام البذخ والترف فقضى الليالى فى انتهاب الملذات واحتساء كؤوس الهناء إلا انه لم يتق الاحتياط مرة بل كان شديد الحذر فصار لايتظاهر بالغنى فى المحلات التى كان معروفا فيها أيام فقره وذلك خشية من تنبيه الافكار اليه فيسقط فى مهواة البؤس ثانية وفى هذه المرة يذوق عذاب السجن ومر الاستنطاق

وبعد خمسة أيام بينما كان مارا فى شارع كليشى اذ نظر على احد الابواب لوحة من النحاس منقوش عليها هذا الاسم « المصور بير باجيه » فتذكر عندئذ صديقا له من اعز

الاصدقاء وخلا من أوفى الخلان كان كثير البر به ايام شقائه فوجد من الواجب ان يصعد ليزور ذلك الصديق الكريم

١٠

المصور باجيه

كان المصور باجيه صديق نديل يسكن قسما من الطبقة الثالثة لاحدى تلك العمارات العظيمة التي يراها المار من شارع كليشي آهلة بالسكان من ارباب الحرف والصنائع ما بين محام وطبيب ومصور ووكيل اشغال وخلافه

وكان مسكن باجيه يحتوي على ثلاث غرف خصص احداها لنومه والثانية لغذائه وجعل الثالثة قاعة للتصوير حيث حلى جدرانها بأنفس الصور من عمله أو من صنع مهرة مصوري هذا العصر والعصور الخالية وجاب فيها من الاثاث الثمين والرياش الفاخر وغير ذلك من نوادر الاشياء الدقيقة ما جعلها تفاخر به اعظم محل لأغنى واشهر مصور

شب بيير المذكور لا يعرف له من الدنيا اهلا سوى عم تركه صغيرا ورحل الى امريكا حيث انقطعت عنه اخباره

منذ عشر سنوات فلم يعد يسمع عنه شيئا فقام بتربيته رجل من الاشراف كان صديقا لوالده

وكان من صفات بيير عدم الميل الى اللهو والخلاعة فكان يحب العزلة ويرتاح الى الهدو والسكينة فانعكف فى منزله يجد ويجتهد . وكان يميل منذ نعومة اظفاره الى النقش والتصوير فلما أتم دراسته اقبل على هذا الفن فتلقاه على اشهر الاساتذة ولم يمض زمن قليل حتى نبغ فيه واكتسب شهرة عظيمة . وترك بعد ذلك بقليل منزل مربيه واتخذ المحل الذى أتينا على وصفه سكنا له

وما انفرد بيير فى معيشته حتى أحس بمرارة العزلة فاعتراه الملل والسآمة فآثر على ذلك الاجتماع بالاصحاب والتردد على القهاوى والمنتديات فكان يقضى معظم اوقاته فى قهاوى مونمارتر والكارتييه لاتين حيث اهمل شغله إلا ما يقوم بأود معيشته . وفى هذا التيار عرف جاك ندبيل أيام أن كان فى بسطة من العيش ورخاء حيث كان المشار اليه بالبنان وصاحب القدح المعلى بين الأخدان

واستمر بيير على هذه الحال بضعة اشهر حتى قيض

الله له شخصاً انتشله من هذه الوهدة . ذلك أنه تقابل مرة برجل من الاشراف ذى مال كثير وجاه عظيم فأحبه هذا الشريف ورغب مساعدته فى فعرض عليه أن يصنع له بضع لوحات مقابل مبلغ جسيم على أن يشتغل بنشاط وهمة . فترك باجيه محلات اللهو وانزوى فى منزله يدأب على العمل ولكن كان ينقصه أنموذج يسير على نمطه فى التصوير فرغب فى أن يكون هذا الانموذج فتاة من اجمل المخلوقات وأراد الآله ان يوفر عليه عناء البحث فبعث اليه ملاكا كان موضوع آماله فى مستقبل الايام

ذلك انه ذات يوم بينما كان جالساً فى قاعة التصوير بعد معدات العمل إذا بالباب قد دق فقام ليفتح فوجد فتاة آية فى الجمال واللطف يدل منظرها على انها كانت فى بسطة من العيش ورخاء فحط عليها الدهر بكلكله . فتقدم اليها ببشاشة قائلا :

— لعل سيدتى تريد ان اقوم لديها ببعض الخدمة

فأجابته متنهدة وقد صبغ الخجل محياها

— انى ياسيدى سمعت انك تريد فتاة تكون أنموذجا

لعمل عظيم تريد القيام به

فقال بيير

— انك بحضورك قد خففت على كثيراً من آلام البحث الطويل فقد يندر ان يرى المصور فتاة جمعت بين طرفى الجمال والرقة مثلك . فتفضلى بالدخول يا سيدتى

وكانت هذه الفتاة تدعى اليس . كان والدها من اغنياء التجار فوقع فى وهدة الأفلاس مما ادى الى اقتراب اجله فمات وخلفها فقيرة هى ووالدتها وكانت تبلغ حينذاك الثانية عشرة من العمر فاعتنت امها بتربيتها على الآداب الصحيحة ولكنها لم تعش بعد زوجها إلا بضع سنوات وماتت حزنا. وبقيت اليس بعد وفاة والديها وحيدة لا تعرف لها قريباً ولا صديقا . ولبثت على هذه الحال بضعة شهور تعيش من عمل يدها كالتطريز والخياطة . ولكنها سئمت هذا العمل ففضلت الاشتغال بالتصوير فكانت تتردد على محال مشهورى المصورين لتقوم ببعض الاعمال الطفيفة لديهم لتحصل على قوت يومها . وكانت اليس فى منتهى درجات الجمال ذات شعر اسود وعينين زرقاوين وخصر نحيل وقامة معتدلة على جانب

عظيم من اللطف والدعة . واحس بيير بجاذبية شديدة اليها فكان يجتهد فى اطالة العمل حبا فى وجودها عنده وصار يعاملها بحنو واحترام . وشعرت هى ايضاً بمثل ذلك إذ وجدته بخلاف غيره على جانب عظيم من الرقة والحنو فتمنت لو يطول هذا العمل ابد الدهر فتكون خادمة لهذا الفتى النقى الفؤاد . وصارت تضطرب كلما احست بقرب انتهاء العمل وانها ستصبح بعده مضطرة الى الانقطاع عن هذا المحل الهادىء حيث يسود السكون وتكمل الراحة

واحس بيير بمثل هذا الشعور وما سيؤول اليه امره يوم ان تصبح اليس بعيدة عنه فاعتراه الحزن والقلق

ولكم أراد أن يبث اليها حبه وهيامه فيمنعه عن ذلك الحياء وحذر الخيبة

ولطالما تمنى أن يكون له صديق وفى يتوجع اليه ويستشيره فى أمره فلربما سرى عنه بعض تلك الهموم بحسن المشورة أو بجميل المواساة ولكنه اختبر الخلان فلم يجد فيهم كفؤا لمثل هذه الأمور بل كلهم خال من الوجدان الصحيح والحاسة الشريفة لا يعرف الواحد منهم إلا الكأس والخلاعة

ومغازلة النساء.

وأتى اليوم الأخير فقضاه بيير صامتا كئيبا حيث لم يقو على الكلام لما فى قلبه من لواعج الوجد والاسى. وبعد انتهاء العمل شكرته اليس على حسن معاملته لها واستعدت للخروج وبينما هى متوجهة نحو الباب إذ لمح بيير دمعة انحدرت على خدها فأسرع نحوها واحتضنها بلهفة قائلا بصوت اخفاه التأثر والحنو:

« اليس . . . بربك لاتذهبى بل ابق الى جانبى فانى احبك حبا برح بى . . . »

فلم تجبه من شدة الانفعال الا بضغطة من يدها اللطيفة على يده وتعانقا طويلا . . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

ونقلت اليس امتعتها عند بيير وعاشا سعيدين فى محبة وصفاء. وترك هذا الاخير اللهو وعاد الى الجد والاجتهاد فكثرت عنده الاشغال لما اكتسبه من الشهرة الفائقة وانفتح أمامه باب الأمل فى مستقبل زاهر

١١

سعادة ويأس

صعد نديل الى الطبقة الثالثة ودق جرس منزل صديقه فلما فتح الباب وجد بيير أمامه مصفر الوجه وعلامات الحزن بادية على وجهه ورأى اليس فى قاعة التصوير تذرف الدمع فصاح مندهشاً :

« ماذا حصل ! . . ومالى اراكما حزينين هكذا ! . . »

فوجم بيير عن الكلام قليلا ثم أجاب:

— « اعلم يا صديقى انه قد صار لنا اثنى عشر يوماً لم نذق طعما للراحة واليك قصتنا »

فقال نديل

ـ « تكلم فانت تعلم مقدار اخلاصى اليك واعترافى بجميلك فثق بمودتى وقص لى خبرك علنى اقوم ببعض الدين الذى لك عندى واعلم بأنى مستعد لتأدية جميع ما يمكننى القيام به لأجلك »

فأجابه باجيه:

« حسناً فاصغ حينئذ لمقالى : أنت تعلم انى فقدت أهلى صغيراً وقد قام بتربيتى احد اصدقاء المرحوم والدى.. ولكن كان لى عم كلفه والدى وهو على سرير الموت بالقيام بتربيتى وسلمه مبلغ خمسين الف فرنك ليعطيها إياى عند بلوغى سن الرشد . ولما كان عليه هذا العم من الميل الى اللهو صرف فى قليل من الزمن هذا المبلغ بعد أن افنى جميع ثروته ووجد أن من العار انه لا يعيد الى تلك الثروة المفقودة فتركنى عند احد اصدقائه وآلى على نفسه أن لا يكد ويشتغل حتى يحصل على ذلك المال الذى اضاعه فى ساعات الطيش فسافر حيث انقطعت عنا اخباره

« ولقد بذلت كل مافى وسعى للبحث عنه فذهبت اتعانى ادراج الرياح لأنى كنت احبه كثيراً ولم اضمر له حقداً قط رغم اساءته . ولو كنت علمت اين هو وفى أى بلد اختفى لذهبت اليه ورجوته أن يأتى فيعيش معنا ناعم البال قرير العين مع نسيان ما مضى »

ثم صمت باجيه لحظة كأن مرت فيها أمام عينيه حياة

عمه الماضية التى قضاها فى اليأس والآلام ثم استمر يقول بصوت اخفاه التأثر :

« ومضى على سفر عمى ما يزيد على عشر سنين وما كنت اظن ان اراه بعدها حتى اتانى منه منذ اثنى عشر يوما رسالة يخبرنى فيها بأنه عاد من سفره

« ولك أن تقدر فرحى العظيم إذ ذاك . . . ولكنه ويا للأسف لم يحضر ثانى يوم كما اخبرنى فى كتابه »

فاصفر وجه نذبيل عند سماعه هذا الكلام واستمر باجيه دون أن يلحظ ذلك قائلا :

« وانتظرته ثانى وثالث ورابع يوم فلم يحضر فظننت اولا انه ربما أعاقه امر من الامور ولكنه لم يرسل لى كتابا يخبرنى فيه عن سبب هذا التأخر الفجائى كما انه لم يكتب لى فى كتابه عن عنوانه فأخذنى القلق عليه

« وغاية ما ظننت ان ربما وشى اليه بعضهم عنى بسوء فأراد أن يتحقق ذلك بنفسه قبل مقابلتى ! . . .

« ولكن أليس تحمل هذا الأمر على انه علم بوجودها عندى فعدل عن الحضور استهجانا لهذا العمل واشمئزازاً

منه . وهى تريد الآن الابتعاد عنى حتى لا تحرمنى كما تقول من ملاقاة عم أحبه ستكون ثروته عونا لى فى مستقبل الايام

« ولقد أحزننى هذا القول منها واعترانى يأس عظيم دفعنى الى تعنيفها على ذلك الاعتقاد ودعانى الى الشك فى حبها لى

واخذت اليس تنتحب فأخذها بيير بين ذراعيه ومسح دموعها واخذ يواسيها بكلمات رقيقة قائلا :

« ماذا يهمنى إذا كان عمى يظن ما تعتقدينه فأنا لا امل عندى فى تلك الثروة التى ستكون سببا لانفصالك عنى وقد يكفينى من الحياة أن نعيش سعيدين فانت سلوتى الوحيدة فى هذه الدنيا إذ كنت سببا لسعادتى وشهرتى هذه العظيمة التى اكتسبتها بتشجيعك اياى على العمل فكيف يتسنى لك الآن ان تتركينى وستريني مجدا فى خلق مستقبل حسن وشهرة واسعة لى ولا اريد مكافأة على ذلك سوى وجودك سعيدة الى جانبى . . . . » ولم يقو نديل على اخفاء اضطرابه وتأثره من ذلك المنظر فتقدم اليه بيير واخذ بيديه قائلا :

« يجب علىّ ان اعرف ماذا جرى لعمى وحيث انك

عرضت علىّ مساعدتك فها هو وقتها . فلقد عزمت على ان استعين فى امره بالشرطة وبدفاتر المسافرين الموجودة بالفنادق العظيمة كذلك سأستفسر عنه من اصدقائه الذين اظن انه زارهم عند عودته واعلم بأننى لا اعتقد ما تعتقده اليس إذ لو فرض بأن احد الواشين تكلم عنى بسوء لديه مما اضطره ان يعدل عن مقابلتى اما كان من الواجب عليه ان يخبرنى عن رأيه فى ذلك وعن الأسباب التى دعته الى هذا العمل . . ! !

« ورغم ذلك ارى من فحوى كتابه انه مستعد لان يدفع لى ذاك المبلغ مهما كانت الحال فلا داعى إذ لأن يرجع عن عزمه خصوصاً وهو يعتقد أن ذلك من الواجبات المحتمة عليه

« لذلك سأبذل قصارى جهدى فى البحث عنه والعثور عليه إذ لا يشك احد فى محبتى واجلالى له

« واعلم بأننى اعتقد أن سبب انقطاع اخباره عنا وعلى الاخص بعد ذلك الكتاب المملوء من عبارات الحنو والاشتياق هو لا بد أن يكون لمصيبة أو حادث جرى عليه فلم يتمكن من احاطتنا علماً »

فقال له نديل

« ولكن هل أنت متأكد من أن هذا الكتاب وصلك من عمك نفسه ولم لا يكون من بعض حاسديك وقد فعل ذلك ليشغلك بآمال لا طائل تحتها »

فأجابه باجيه

« هذا غير ممكن يا صديقي لأنني اعرف خط عمي جيداً وهو لم يتغير منذ عشر سنوات وعندي له كتابات قديمة ولا اظن أن امهر المقلدين يمكنه أن يصل الى مثل هذه الدرجة فى التقليد »

ثم توجه نحو خزانة صغيرة وفتح درجها وأخرج منه رزمة جوابات وناولها الى نديل قائلا :

« انظر هاهى تلك الجوابات القديمة أما الكتاب الذى وصلنى هذه الأيام فتراه فوقها »

فتناول نديل رزمة الجوابات وما وقعت عينه على امضاء عم بيير حتى اكفهر وجهه

فقال بيير بلهفة :

« ماذا ! . . . . . وما الذى حصل لك ! . . .

فأجاب نديل وقد أخذ منه الاضطراب مأخذا عظيما

« لاشيء . . . ولكن قل لى الست حينئذ تدعى باجيه »

فوجم بيير عن الجواب قليلا ثم قال :

ان لفظ « باجيه » قد استعرته لمهنتى الجديدة حتى بذلك ينسى الناس اسم عائلتنا الذى جعله عمى مضغة فى الأفواه بما اتاه من قبيح الذكر ايام طيشه وسفهه . وأما اسمى الحقيقى «فبيير دى بونتافسن »

فقال نديل

« ان هذا الاسم من اعظم الاسماء فى فرنسا »

ثم استمر يقول

« وأنا اعتقد ان غياب عمك يكدرك كثيراً . . .لأن فى هذا المبلغ الذى كان فى عزمه تسليمه اليك تمام سعادتك وسعادة أليس . . . ولكنها الأقدار ترمى بالمرء من حيث لايعلم . . وأرى أنه من الصعب على الفتى أن يعود إلى الجهاد فى الحياة بعد هذا الأمل فى تلك الثروة الواسعة التى قد تكون ولا شك سبباً لسعادتكما . كذلك أرى أنه من المحزن أن يستمر الأنسان على شقاء العمل ابد الدهر . . . . وفى

ذلك كما تعلم القلق الدائم لأليس لما تعتقده من أنها كانت السبب فى حرمانك من تلك الثروة »

ولزم بيير الصمت برهة ثم هز رأسه حزنا ونظر الى أليس وقد وضعت جبهتها على زجاج الشباك تائهة فى بحار الأفكار ثم قال متمتما :

« لله ما اتعس هذه الفتاة ! . . . لو كان خدمها الحظ بعد ذلك البؤس وهذا الاخلاص لصارت من اسعد الناس »

وانحدرت دمعة من عينه ثم استمر يقول :

« ولكن يجب البحث حالا لأن الفرصة لم تضع بعد »

ثم اخذ بيد نديل وهو متوجه نحو الباب وضغط عليها قائلا :

« اشكرك بالنيابة عنى وبالأصالة عن حبيبتى أليس . . . واتمنى أن تنجح فى مأموريتك »

وشاهد نديل دمعتين انحدرتا على خدى بيير فأخذ بيده قائلا بصوت خافت .

« تشجع يا صديقى ! . . »

ثم قفل الباب ونزل نديل السلم ببطء شديد وتوجه

توا الى منزله ولم يفتكر هذا المساء بان فى جيوبه نقودا وأن باريس فى انتظاره بملاذها وملاهيها ! . . . .

١٢

تبكيت الضمير

ولما دخل نديل غرفته التى بنفسه على كرسى هناك ولبث برهة طويلة تتنازعه الأفكار ثم قال يخاطب نفسه بصوت خافت :

« بيير دى بونتافسن ! . . . . هذا هو عين الأسم الذى وجدته فى المحفظة ! . إذا فهو قريب ذلك الرجل الذى ضاعت منه هذه الثروة ! فيا للتعاسة ! . من كان ينتظر مثل هذه الأقدار »

ثم قام إلى وسادته حيث أخذ المحفظة وجلس يقلب الاوراق وقد امسى يعتقد أن هذا المبلغ يخص بيير ذلك الفتى الذى له عليه الأيادى البيضاء ايام بؤسه حيث تركه الأخوان فلم يجد فيهم من حفظ الوداد غيره . وعندئذ استولى عليه

الاضطراب وتأنيب الضمير واعتراه الحزن والأسى لمقابلته ذلك الأحسان بهذه الاساءة تصور بعد ذلك حال صديقيه بيير وأليس وكيف انه اصبح بدون علم منه سببا لشقائهما سالبا لراحتهما ثم تمثل امام عينيه شخص المركيز جان دى بونتافسن وقد استولى عليه القنوط وغلبه اليأس فاصبح لا يرجو سوى المنون إذ عاكسته الأقدار ففقد ذلك المبلغ الذى قضى فى الحصول عليه قوة الشبيبة ونفيس العمر . ورسخ فى ذهنه ان سبب امتناع المركيز عن زيارة ابن اخيه هو عدم مقدرته على سداد ذلك المبلغ وحاول أن يعلم ماتم لهذا الرجل المجدود فبحث فى جرائد الاسبوع حتى عثر على جملة فى إحدى الجرائد اليومية تحت عنوان «حوادث شتى» ذكر فيها الكاتب ما أصاب المركيز وكيف انه فقد المحفظة المحتوية على جميع ثروته وهو ما أتينا على ذكره فى الفصل الثامن

وما وقعت عين نديبل على هذه الجملة حتى استولى عليه الأسف ووخز الضمير وتمنى أن لو ذهب إلى الفندق حيث يسكن المركيز واستطلع أخباره ولكنه تذكر أن فى ذلك من تنبيه الافكار مايعود عليه بالوبال

ولكن الميل الى معرفة ما آل اليه أمر المركيز ألزمه أن يتوجه ثانى يوم الى شارع سان لازار حيث الفندق ولم يجسر على الاقتراب من مدخله فعاد على عقبيه وقد حار فى أمره واستولت عليه الافكار المتضاربة فحيناً كان يفضل السكوت وعدم المبالاة وآونة كان يعزم على أن يذهب إلى المركيز فيعطيه المحفظة ويترامى على قدميه طالباً الصفح ويعود إلى حالته الأولى فيعيش عيشة الضنك والبؤس. وعندئذ تذكر ماضى حياته وكيف قضى معظم عمره بين زجر الرؤساء وعناء الخدمة ففضل الانتحار على العودة الى ذلك

وأتى الليل وهو على هذه الحال فأراد أن يطرد كل هذه الافكار المؤلمة فعزم على التفرج فى المنتديات والقهاوى ربما ذهب عنه بعض هذا القلق وعلى ذلك خرج من منزله فتعشى وصار يتنقل من قهوة لأخرى ومن ناد لآخر ولم يشعر بذلك السرور القديم الذى كان يشمله كلما طرق هذه المحلات فعاد الى غرفته كاسف البال حيث أوصد الباب والقى بنفسه على سريره وبكى طويلا .....

ولم ينم إلا فى الهزيع الأخير من الليل . فلما أصبح

الصباح توجه لزيارة باجيه . وبينا هو يصعد السلم إذ سمع صوت صديقه ينادى بأعلا صوته

« يا للمعونة ! . . الى ! . . الى ! . . »

فأسرع نديل مهرولا . . . .

مستقبل المرأة

فى بلاد الغرب

يصدر هذا الكتاب النفيس فى شهر يناير سنة ١٩٢٢

وثمنه ٢٠ غرشا صاغا

ويطلب من مكتبة ومطبعة الشعب

١٣

قلنا ان المركيز بعد أن افاق من اغمائه بحث عن المحفظة فلم يجدها فأغمى عليه ثانية وحملوه الى غرفته حيث استدعى له فى الحال الطبيب لمعالجته فوجد عنده ارتجاجاً فى مخه تسبب عن السقوط الهائل والمصيبة العظمى التى حلت عليه بفقده المحفظة فأمر له بالراحة التامة والعلاج اللازم . واستولت على المريض حمى شديدة وهذيان عظيم فكان حيناً ينادى ابن أخيه وآخر يتصور انه قابله فيظهر من الفرح اكثره . وتارة يتصور انه يقلب أوراقا ماليـة ويقول انه صار غنياً كما كان من قبـل . وأخرى كان يفكر فى المحفظة وفقدها فيستولى عليه حزن شديد ويأس عظيم واستمر على هذه الحال بضعة أيام وقد يأس الطبيب من شفائه الى أن كان ذات يوم حيث خفت وطأة الحمى وعاد اليه صوابه قليلا فأمر الطبيب خدم الفندق أن لا يذكروا له أمر المحفظة أو ابن أخيه فان ذلك يعيد اليه المرض بشدة ربما أودت بحياته

وصار المركيز يتقدم الى الشفاء قليلا قليلا حتى عاداليه صوابه وانقطعت عنه الحمى تماماً وعند ذلك تذكر ماحل عليه من المصائب وكيف أنه بضياع هذا المبلغ صفقة واحدة وعودته بالفشل والخيبة أصبح ولا أمل له فى لقاء بيير فاستولى عليه هم عظيم ويأس شديد وتمنى أن لو عاجلته المنية فيستريح من حياة كهذه كلها عناء

وصار يبكى كلما افتكر أن الأقدار ابت الا حرمانه الى الأبد من لقاء ذلك الفتى الوديع الأخلاق الكريم الصفات حيث كان ينتظر بمعاشرته الراحة التامة من عمره

وعزم على أن يعود إلى أمريكا وان يكتب بذلك الى رئيس المحل الذى كان يشتغل فيه ولكنه لم يقو على هجر هذا الوطن العزيز بدون أن يرى ابن أخيه ويضمه إلى صدره ويطلب منه الصفح عما سببه من الشقاء له ولم يجد وسيلة للذهاب إلى منزله وهو صفر اليدين مريضاً سوى الأنتظار إذ ربما يبحث عنه بيير متى علم بمصابه أو قرأ عنه فى الجرائد ولكنه عاداليه القنوط عندما افتكر أن من الجائز أن لايكون قرأ بيير الجرائد يومها

وكرت الأيام فلم يحضر بيير ولم يهتد البوليس الى من التقط المحفظة مما زاد فى يأس المركيز فقطع كل أمل فى العثور على المال

ولكن المركيز لم يقطع الأمل من لقاء ابن اخيه وتمنى أن لو اتى لمقابلته فيكون ذلك تسلية عظمى له على مصابه وتعاقبت الأيام والمركيز يرقب المارة كل يوم من الساعة الثامنة صباحا الى المساء فكان كلما أحس بوقع أقدام بجانب الغرفة ظن القادم ابن اخيه فاذا به الخادم وقد أتى لقضاء ما يلزمه . وما زال على ذلك حتى اعتراه الملل وتولته السآمة فطلب من صاحب الفندق أن لا يدخل احد غرفته الا إذا مست الحاجة الضرورية وقضى على هذه الحال ثلاثة عشرة يوماً مما ادى الى شدة اليأس والقنوط إذ لم يفهم معنى لتأخر بيير عن الحضور لمقابلته سوى شدة البغض والكراهية له لأنه لو كان الأمر على خلاف ذلك لكان أتى بنفسه من ثالث يوم أو لو كان مسافراً طول هذه المدة لوصله الكتاب انى توجه أو إذا لم يصله لأعادته اليه ادارة البريد .

ولما كان اليوم الرابع عشر عادت اليه الحمى بشدة فاستدعى

الطبيب لمشاهدته فوجد ان غلبه الداء ثانية واوصى له بالدواء اللازم

واراد المركيز بعد انصراف الطبيب الانتحار فمنعه الخادم بعد عناء فصرخ قائلا :

« اريد ان اموت فقد كفاني ما لقيت من متاعب الحياة : . وهجم على النافذة ليفتحها ويرمي بنفسه منها الى الشارع وبينما هو يعالج المضادة اذ بوقع اقدام تقترب من غرفته . .

اسكندر شحاته

الوكيل العام لمكتبة م . افاتيس بمحطة طنطا الاميرية

يطلب منه جميع مطبوعات مكتبة ومطبعة الشعب

ومجلة مسامرات الشعب

١٤

العم وابن الأخ

فترك بو نتافسن النافذة وأخذ ينصت واذا بالباب قد فتح ودخل منه شاب هرول نحو المركيز وارتمى بين احضانه قائلا :

« احمد الله على لقائك ايها العم العزيز ! . .

فأجاب المركيز بصوت اخفاه التأثر :

« آه ياولدى اننى كنت قطعت كل امل فى لقائك ! . »

وبكى المركيز من شدة السرور وجعل يقبل ابن اخيه مرارا ثم قال وقد تذكر ضياع المحفظة :

« كنت يا ولدى أردت ان اؤدى لك ما علىّ من الدين ولكن الأقدار أبت إلا معاكستى . وأظنك علمت بما نزل بى »

واراد بيير ان يتكلم فقاطعه المركيز قائلا :

« أما وقد وجدتك فقد كفانى وسأعود إلى العمل بنشاط كالسابق حتى احصل على ثروتك من جديد . . ! وبذلك اقوم

باداء ذلك الدين الذى لك عندى ! . . . »

فصرخ بيير قائلا :

« ماذا تقول . . ؟ كأن فى عزمك أن تتركنا وتعود إلى امريكا للحصول ثانية على ذلك المال مع انك تعلم انه لا يهمنى سوى وجودك بجانبى فدع عنك مثل هذه الأفكار فاتكون الثروة فى جانب فرحى العظيم بلقياك »

وعندئذ دخل الخادم ونبه بيير بأن الطبيب اكد ان لا تقلق طويلا راحة المريض فعزم بيير على الانصراف رغم ارادته وقال يخاطب عمه :

« ينبغى ان انصرف الآن على نية العودة غداً فأتعشم ان أراك فى صحة جيدة »

واراد المركيز أن يمنعه من الذهاب فأصر بيير على ذلك فقال له المركيز :

« إذن اخبرنى قبل أن تذهب عن الواسطة التى بها أمكنك ان تعرف عنوانى »

فأجابه بيير :

« اعلم انى لما طال انتظارى لك بدون جدوى تحقق

عندى أن لتأخرك عن الحضور سبباً فذهبت إلى البلدية حيث استفسرت عنك فاخبرت بقصتك واعطيت عنوانك وعلى ذلك حضرت الآن »

فضمه المركيز الى صدره ثم حياه بيير وخرج

الروايات البوليسية العصرية

مجموعة بديعة من الروايات الفرنسية الحديثة يصدرها قلم النشر والترجمة بمكتبة م . افاتيس بشارع عماد الدين بمصر وترسل جميع الطلبات باسم حضرة الفاضل الشاب الاديب

﴿ احمد افندى محمد عصفور ﴾

مدير هذا القلم

ثمن النسخة ٥ مليمات

تليفون رقم ٨٤ — ٣٢

١٥

﴿ انتحار أليس ﴾

وتوجه بيير الى منزله مسرورا فصعد السلم مسرعا وقد عزم على ان يفاجىء حبيبته أليس بهذا الخبر السار وكيف التقى بعمه ولكنه لم يكد يضع قدمه فى قاعة التصوير حتى استنشق رائحة حمض الكربونيك الذى كان يتصاعد من القاعة بكثرة فاسرع الى النوافذ ففتحها وحينئذ وجد أليس ملقاة على وسادة لا حراك بها فأخذه الاندهاش والحيرة وصار يناديها بأسمها فلم تجبه فجعل يفك ازرار الملابس التى فوق صدرها وهو يصرخ بصوت عال فسمعه نديبل وهو صاعد فهرول اليه قائلا :

« ما الذى نزل بك يا صديقى ؟ »

فأجابه بيير منتحبا :

« اسرع بربك يا نديبل ، فقد انتهزت اليس فرصة غيابى وانتحرت باستنشاقها حمض الكربونيك وهى فى اغماء الآن .

فقال نديبل :

« اذن يجب احضار احد الاطباء وهاانا ذاهب للبحث عن أقربهم منا »

ثم نزل الى البواب واستعلم منه عن اقرب طبيب فى الحى وذهب ليدعوه وهو يناجى نفسه اثناء الطريق قائلا :

« يا للتعاسة . . ! كل هذه المصائب جلبتها بعملى القبيح فكيف يلذ لى العيش على هذه الحال ! ! . . »

والتقى نديل بالطبيب وقد استعد للخروج فاخذه معه وتوجها صوب منزل بيير

ودام اغماء أليس طويلا ثم أفاقت من غشيتها وقد اكد الطبيب سلامتها من الخطر ثم امر لها بدواء وانصرف على نية العودة غداً فشكر له بيير حسن عنايته . ووجد نديل على الخوان كتاباً بخط أليس فأطلع عليه بيير واذا به ما يأتى :

« حبيبى بيير

كنت اظنك وحيداً مثلى فى هذه الدنيا فخاب املى اذ وجدت لك عماً ذا جاه عظيم وان فى انتظارك المجد والثروة وارى ان سبب انقطاع عمك عن زيارتك يدل على انه لا يرغب ان اقيم معك ولذلك اشعر بأن وجودى عندك حاجز

قوى بينكما . ولقد افتكرت فى الطريقة الوحيدة لحل هذا المعمى فلم اجد سوى الانتحار اذ لا لذة لى فى الحياة الا بقربك

« فالوداع . . الوداع يا حبيبى ! . . وثق بأننى أموت مستريحة البال ولى الامل فى أن تكون سعيداً يوماً ما . . .

« وفى اختام اقبلك قبلة الوداع

أليس »

فقال بيير :

« لو بادرت هذا الصباح فأخبرتها عما حصل لعمى وعن سبب تأخره عن الحضور لما كان حصل شىء من ذلك المصاب الجديد . . »

فقاطعه نديل قائلا :

« ما ذا تقصد بكلامك هذا ؟ »

فأجابه بيير

« حقاً إنك لا تعرف ما انتهى عليه بحثى . فاعلم باننى قضيت يومين ابحث فيهما عن عمى فى المحلات والمنازل التى كنت اعتقد انه يذهب اليها فلم اعثر عليه فتوجهت هذا الصباح الى البلدية واستفسرت عنه فدللت على عنوانه وعلى ذلك قابلته

وعلمت ان الذى منعه عن زيارتى حادث طرأ عليه »

وقص عليه تلك الحادثة التى لحقت بعمه ثم قال :

« وسأخبرك عن كل شىء فيما بعد لانى الآن رغم تأكيد الطبيب ببعد اليس عن الخطر ترانى قلقاً عليها »

فأجابه نديبل بصوت خافت :

« لقد سرنى ما أخبرتنى به . فهل لك حاجة ؟ . لانى بعد ذلك ارغب الانصراف كى تنفرد بالاعتناء باليس ولا خوف عليها الآن واذا احتجت إلى فانا مستعد لتلبية ندائك »

فقال بيير وقد أخذ بيدى صديقه :

اشكرك يا نديبل على حسن وفائك ويعجز لسانى عن ايفاء حمدك والثناء عليك لما اظهرته من كريم الخصال فى جميع تلك الحوادث التى نزلت بنا مما جعلنى ان اعتبرك اصدق الاخوان واوفى الخلان . واعلم بأنى لا انسى جميلك ما حييت

فابتسم نديبل وضغط على يد صديقه وخرج بدون ان ينبس ببنت شفة

١٦

نفس ابية

وغادر نديل منزل صديقه ولم ينتبه لتلك الجموع التى كانت تبادر نحوه للاستعلام منه عن هذا الحادث . وذهب توا الى منزله وأغلق عليه باب غرفته وليث غارقا فى بحار الأفكار المتضاربة حيث مرت امام عينيه حياته الماضية على اختلاف ادوارها فتذكر أنه كان فى ابان شبابه كثير الشغف بالملاهى وكيف انه اندفع فى هذا التيار بعد خروجه من الجيش اندفاعاً غريباً مما ادى الى يأس والدته فقضت اسى وحزناً عليه

تذكر بعد ذلك سنى العمل التى قضاها فى البؤس والشقاء ثم عثوره على المحفظة وعودته الى معيشة البذخ والترف . ثم تصور حال صديقيه بيير واليس هذين الشخصين اللذين لهما فى قلبه المكانة العالية وكيف انه سبب لهما كثيراً من المصائب بعمله الشنيع

وعلى ذكرى هذا استولى عليه هم عظيم وقلق شديد وتمنى لو اخذه النوم فيستريح من عناء تلك الأفكار المتضاربة التى اضاعت صوابه . ووجد امامه قارورة من الكؤول فاخذها بيديه وشربها على جملة جرعات كيما تثقل رأسه فينام . ولكن ذلك لم يزد فى حواسه الا اضطراباً فتصور انه امسى غير قادر على الحركة وان اشخاصاً اتوا للأعتناء به وآخرين انتهزوا فرصة غيبوبته فصاروا يبحثون فى وسادته عن المحفظة الثمينة التى فيها اجتمعت كل آماله فى الحياة . وتمشى إلى وسادته فأخذ المحفظة وجعلها على صدره ونام ولم يستيقظ من النوم إلا ليلا فقام إلى النافذة وأطل حيث السكون سائد والهواء بليل وعندئذ عادت اليه أفكار يومه . وبعد تأمل طويل ظهرت على وجهه آيات العزم الأكيد فاوقد المصباح وجلس يكتب رسالة طويلة ثم مزقها وعاد إلى فراشه منتظراً الصباح . فلما كانت الساعة التاسعة صباحا توجه إلى القهوة فأكل قليلا من الزاد وقام متجها نحو الشوارع الكبيرة فلما وصل الى ميدان الاوبرا وقف أمام دكان بائع اسلحة قليلا ثم دخل فاشترى مسدساً ثميناً وخرج

واستمر نديل فى سيره حتى وصل الى شارع سان لازار فدخل فندقاً بجوار المحطة حيث سأل عن المركيز جان دى بونتافسن فارشده أحد الخدم إلى غرفة المركيز

وظن هذا أن القادم ابن أخيه فقام الى لقائه منشرح الصدر فاذا به شاب لم ينظره من قبل .

وسلم نديل على المركيز وقال له :

« لقد ساقتنى الاقدار ياسيدى إلى المرور فى شارع سان جورج عقب النكبة التى نزلت بك هناك »

فقاطعه المركيز قائلا وقد أخذ منه الأضطراب مأخذاً عظيما

« ثم ماذا ! . . . . »

فأجابه نديل :

« فأنا الذى أخذت المحفظة وها هى »

فأجابه المركيز :

« انى اشكرك ياسيدى على هذا العمل الذى يدل على كرم الأخلاق وشريف الخصال لذلك اكون سعيداً إذا صافحتك وثق باحترامى واجلالى لك واعلم بأنى فى تمام

الأستعداد لأن أقوم ببعض الخدمة مقابل هذا العمل الذى لايمكننى أن أقدره »

فرفض نديبل أن يمد يده الى المركيز وقال :

« انى لااستحق يا سيدى مثل هذا الأحترام واليك قصتى . فاعلم بأنى عرفت ماحصل لك كما أننى صديق لابن اخيك وهو يظننى من أوفى خلانه ومع ذلك ترانى لازمت الصمت وكنت فقيراً فاصبحت بعثورى على تلك الثروة غنياً وعدت بضعة أيام الى حياة اللهو والخلاعة انفق من ذلك المال المختلس ولكن وخز الضمير تولانى وخصوصاً بعد تلك المصائب التى حلت على بيير والتى شاهدتها بنفسى فحضرت لأرد اليك هذا المال

« اوجدت كيف انى لااستحق الحمد والمكافأة ؟ ولقد صرفت من المال فى خمسة عشر يوماً نحو الفى فرنك والباقى تراه داخل المحفظة . . . ولا اطلب منك إلا امراً واحداً وهو ان لاتخبر احدا قط بما دار بيننا . . . »

ثم صمت قليلا واستمر يقول بصوت خنقته العبرات :

« واعلم بأن بيير وصاحبته كانا الصديقين الوفيين لى

فأريد أن لا يعلما بذلك . . والآن اودعك ياسيدى وارجوك العفو والغفران . . »

ثم خرج مسرعاً بدون أن يتمكن المركيز من اجابته . .

فى شهر يناير سنة ١٩٢٢

يظهر

؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

ويطلب من م . افاتيس متعهد مكاتب السكة الحديد المصرية

المكتبة التجارية

بشارع محمد على امام سوق الخضار بمصر

يطلب منها جميع مطبوعات مكتبة ومطبعة الشعب

ومجلة مسامرات الشعب

١٧

اجتماع الشمل

ولما خرج نديل كتب المركيز ورقة الى بيير يدعوه فيها الى زيارته وارسلها مع خادم الفندق

وبعد مضى ساعة من الزمن حضر بيير فناوله المركيز المحفظة قائلا :

« اليك هذه فيظهر أن العناية الآلهية قد رأت بعد ذلك العناء الذى كابدناه إنا نستحق بعض الهناء فلقد وجدت المال الذى فقدته وهو ميراثك الذى استلمته من والدك قبيل موته الآن اردده اليك وقلبى مفعم بالسرور إذ عدت فوجدتك فى غنى عن هذا المال ولا انسى ابد الدهر فضائل صديقنا دى لوريوز الذى قام بتربيتك احسن قيام . وان شاء ربى سأتوجه لزيارته بعد عودته من الخلاء لاشكره على ذلك »

فقال بيير :

« ولكن قل لى كيف وجدت المحفظة »

فأجابه المركيز :

« لقد سلمنى اياها هـذا الصباح احد رجال البوليس واخبرنى ان احد الفعلة وجدها فى المجارى اثناء الشغل مما يدل على انها وقعت هناك عند سقطتى »

ثم غير الحديث قائلا :

« والآن اشعر براحة تامة واود ان اتوجه الى منزلك لأراه واشاهد عمل يدك . هل توافق على ذلك ؟ »

وظهرت على وجه بيير علامات الارتباك فقال له عمه :

ـ « مابك ؟ كأن طلبى لايسرك »

فأجابه بيير :

« بالعكس يسرنى جدا ان تأتى لزيارتى ولكن يلزمنى ان اخبرك عن كل شىء . فاعلم بان لى رفيقة فى المنزل فلا يأخذنك الحنق علىّ اوالشك فى سلوكى فان لتلك الفتاة اليد الطولى فى سعادتى إذ لولاها مابلغت الدرجة التى أنا عليها الآن »

وقص بيير على عمه كل مايتعلق بمعيشته مع أليس فوصف له اخلاصها وحبها له ثم ذكر له حادثة الأمس التى تدل ولا

شك على مبلغ حبها له وهيامها به

فقال له المركيز :

« انك يا ولدى تستحق كل هذا الحب وذلك الولاء لما جبلت عليه من جليل الصفات وكريم الاخلاق واريد عاجلا ان انظر تلك الفتاة التى اظهرت لك مثل هذا الاخلاص فاشكرها عليه »

فاجابه بيير :

« اشكرك انا أيضاً ايها العم العزيز على حسن عنايتك . ولكنى اطلب منك امراً واحداً الا وهو ان تؤخر زيارتك الى الغد لأن اليس لم تزل متألمة من حادث الامس واخاف عليها من كثرة الانفعالات النفسانية . وسأحضر غداً الساعة الحادية عشرة صباحا فنتوجه لمقابلتها سوية حيث نتناول معها طعام الغداء . وانا واثق من انك ستحبها من اول مرة تنظرها فيها . فهل لك ان تقبل ذلك ؟ »

فقال المركيز :

« كيف لا اقبل وهذا غاية متمناى فقد صار لى زمن طويل لم احظ بوجودى بين عزيزين مثلكما »

وانصرف بيير على نية العودة غداً . فلما كان الميعاد المضروب حضر وكان عمه ينتظره فخرجا معاً وركبا عربة

واحس المركيز بنشاط وراحة عظيمين فلما وصلا الى المنزل صعد السلم بدون كثير عناء . وفتح بيير الباب وادخل عمه فى قاعة التصوير التى كانت حينئذ مزدانة بالزهور والتصاوير الجميلة وكانت اليس جالسة هناك فقامت للقائهما فأخذ بيير بيدها وتقدم الى عمه قائلا :

ـ «اليك ايها العم العزيز اقدم حبيبتى أليس التى كانت سبب سعادتى والتى ستكون ان شاء المولى زوجتى فى اقرب وقت » :

فقال المركيز مخاطبا اياها :

ـ « اشكرك يا سيدتى على فائق حبك واخلاصك لابن اخى . ولقد ذكر لى بعض صفاتك مما جعلنى كثير الشوق إلى رؤياك كما اهنئك على حسن تربيتك وآدابك فاتمنى لكما سعادة ابدية »

فأجابته أليس:

« ان كلامك هذا ياسيدى هو عين سعادتى . واعلم

بأنني أحب ابن اخيك بكل جوارحي وسأبذل جهدي في اجراء ما يعود عليه بالسعادة والهناء »

ولما صلح الطعام قام الثلاثة الى غرفة الأكل وقد عادت الى المركيز بشاشته الأولى

١٧

وفاة نديبل

وما انتهوا من تناول الطعام حتى دخلت عليهم الخادمة وفي يدها كتاب فأخذه بيير حيث عرف خط صديقه نديبل وفضه وقرأ ما يأتي :

« صديقيَّ العزيزين بيير وأليس

« لقد قضيت الى الآن نفيس العمر في اللهو والخلاعة اعتقادا مني ان في ذلك الهناء ولذة الحياة . فلم استيقظ من هذا الثبات العميق والا وقد تحكم الداء وعز الدواء فاصبح في حكم الاستحالة عودتي الى السير على منهاجكما القويم . لذلك عزمت على الانتحار تخلصاً من حياة كهذه كلها عناء .

فلى الأمل أن لاتنسيا ذلك الصديق الذى لازلنا نحبانه وتثقان باحترامه لكما واليكما الوداع . . . صديقكما

«جاك نديل»

فصاح بيير قائلا :

« ياله من سيء الحظ ! . . . ما عساه أن يفعل ؟ . . »

ثم أخذ يقرأ بصوت عال كتاب نديل

فتحقق المركيز أن نديل هـذا هو ذاك الفتى الذى أعطاه المحفظـة بالأمس فقال لابن اخيه

« اسرع يابيير وألحق بهذا المسكين لعلك تخلصه قبل أن ينتحر فنزل بيير مسرعا وأخذ عربة وتوجه صوب منزل صديقه . فلما وصل الى هناك وجد جموعا كثيرة وسمع صوت بعضهم يقول « ان شابا يسكن هذا المنزل قد انتحر الساعة باطلاقه الرصاص على نفسه »

فتقدم بيير من الباب حيث فرق الجموع وصعـد إلى غرفة صديقه فوجد بعض السكان فيها ومعهم احـد رجال الشرطة وقد حضر لتحقيق سبب الوفاة

ووجد بيير نديل مطروحا على وسادة مكفهر الوجه

فاقد الحركة والدماء تسير من وجنته اثر الجرح الذى احدثه الرصاص والقى بيير بنفسه على جثة صديقه ولبث ينتحب مدة ثم قام منصرفا ولسان حاله ينشد

نحن لله ما لنا بقاء وقصارى سوى الاله فناء
يفرح المرء بالصباح ومايد رى ماذا تكنه الأمساء

خاتمة

ومضى على الحوادث التى اتينا على ذكرها عامان سافر فى خلالهما المركيز جان دى بونتافسن الى نيويورك فقضى هناك بضعة شهور ثم عاد الى فرنسا حيث اخذ ادارة احد البيوت المالية الكبيرة وعاش بالقرب من ابن اخيه بيير دى بونتافسن

وتزوج هذا الاخير بحبيبته أليس وسكنا فى قصر جميل بميدان فيليبه وعاشا فى هناء ورخاء وقد اكتسب بيير شهرة فائقة فى فن التصوير

وصارا يذهبان من وقت لآخر الى زيارة قبر صديقهما جاك نديبل ذاك الفتى الذى حمله الاخلاص واباء النفس على الانتحار حتى لايحرمهما من ثروة كانت سبب رخائهما . ورزقا ولدا سمياه جاك تذكارا لذلك الصديق العزيز

﴿ تمت ﴾

مكتبة العرب
لصاحبها
الشيخ يوسف توما الشدياق
بشارع الموسكى
بمصر

فأنا أريد قلبك وسأخذه وعلى أن أتولى علاجه وهو فى جسمى لأريحك من نفقات الاطباء

(انظر صحيفة ١٢٦)

DATE DUE

J. Lib.

12 APR 1984

JAFET LIB.

19 SEP 1992

ابراهيم ،مصطفى
مظالم الآباء
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037887